جامعة الشهيد زيان عاشور –الجلفة-

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم الفلسفة علم النفس

مذكرة بعنوان
العقلانية في التراث العربي من خلال كتاب المعقول واللامعقول في ترثنا الفكري **لزكي نجيب محمود**

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر فلسفة عامة:

إعداد الطالب :

قاسم مبارك

تحت إشراف:

أ،د. حمايدي الخضر

1- الدكتور:.....رئيسًا

2- الدكتور:.....مناقشا

السنة الجامعية:2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى زوجتي الغالية بناتي العزيزات

إلى كل زملائي في العمل

إلى كل الأصدقاء كل باسمه .

أهدي هذا العمل المتواضع

تشكّر

بعد أن خرج هذا العمل المتواضع إلى حيز الوجود بعون من الله وتوفيق منه لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني إلى الأستاذ الدكتور"

حمايدي خضر "نظير ما قدّم فأفاض ونصح فأرشد ووجّه

مقدمـــــــــة:

التراث هو الهوية التي تتكلم عن أية أمة من الأمم والتي بدونها قد يزول مجدها وتاريخها وتتفكك أسسها الداخلية ،وفيما يخص الأمة الإسلامية فقد شكلت مسألة التراث أحد أهم مجالات البحث فيها خاصة بعدما لحقها من ضعف وتدهور جراء عدة أسباب تاريخية وسياسية ،ما جعل مبدأ الهوية يتناثر ويختفي في عدة نقاط جراء ما لحقها من آثار المعادة الصليبية و الحروب الداخلية والخارجية ،فأصبح الواقع العربي ينم عن مظاهر فكرية واجتماعية مهلهلة ومبعثرة لا ترتكز على أي مرجع أو مذهب خاصة مع تأثير الفكر الغربي النهضوي الحديث الذي لاح على أفقها بأفكار دخيلة ترمي إلى التجديد ونبذ الفكر اللاهوتي القديم وتبني العقل كقائد لسفينة التقدم .

ولكن هذا لم يكن ليحل أزمة الفكر بل ساقها إلى أعمق من هذا وهو صراع الهوية بين أقطاب متناقضة في المبدأ بقيت تتراوح في حلقة مفرغة المعالم من حيث المرجعية الفكرية، من داع إلى التحديث والتجديد وفق مبادئ العلم ،وآخر رافض للانسلاخ عن التراث معتبرا إياه القاعدة الأساسية لبناء الحاضر.

هنا كان موقف مفكرنا **زكي نجيب محمود** الذي تبنى موقف الوسط في دراسته وتحليله للتراث ومعالجة مشاكله للخروج بحلول تنفع أهلها وترتقي بهم في مراتب المعرفة.

والدراسة التي بين أيدينا والمعنونة **" العقلانية في التراث العربي من خلال كتاب المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"** هي دراسة مسار الفكر الإسلامي من خلال كتاب **"المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"** للدكتور زكي نجيب محمود ، جاءت كمحاولة لرفع الستار عن ماض فكري اختلط فيه الفكر العقلاني بالفكر اللاعقلاني والذي أعطى صورة سلبية عن التفكير الإسلامي ،ولكي نتقصى حقيقة تلك العلوم اللاعقلية ونأخذ منها ما يفيد في بناء حاضرنا ومستقبلنا فقط.

فجاءت الإشكالية التي اقترحناها لهذا العمل كالآتي:

أين تتجلى مظاهر الفكر العقلي واللاعقلي في تراثنا العربي من خلال منظور الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ؟وهل استطاع رواد النزعة العقلية في تراثنا ان يجسدوا هذا التوجه في مواقفهم ومؤلفاتهم ؟ وهل يمكن اعتبار الفكر اللاعقلي في تراثنا هو نتيجة لغياب النزعة العقلية ام انه نتيجة القراءة الخاطئة للنصوص والتعاليم الدينية .

أهمية الموضوع:

الدوافع الذاتية:

لقد كان اختياري لهذا الموضوع من منطلق النخوة العربية والنفس التواقة للنهوض بكل ما هو نافع وجيد لهذه الأمة، هذا ما جعلني أقف على عتبات فكر رجل نهضوي ومفكر حضاري ، يحمل همَّ أمّته وبلده من أجل تغيير ما اهترئ ،وإصلاح ما فسد فكانت هناك رغبة شخصية نابعة من وجدان لا ينفصل عن ماضيه وتراث أمته الثقافي والإسلامي.

الدوافع الموضوعية:

إنَّ هذا العنوان يحمل مسيرة بحث خاضها الرّجل من أجل الوقوف على أسباب تخلف العقل العربي المسلم وأسباب الأزمة الفكرية في الأمة الإسلامية ،والبحث في جنبات التاريخ عن أسس الفكر العقلاني وما نسب إليه من اللاعقلي،والذي كان يحمل معول الهدم من أجل تقويض بعض الحقائق العقلية والبناءات المنهجية ،فكان لابد من أن يفتح ملف الفكر العقلاني واللاعقلاني للأمة الإسلامية ويتم تمحيص ما فيه كي ينتفع بأجوده وأصلحه في وقت نحن بحاجة إلى أدق معلومة أو فكرة قد تساعد على رفع بعض الغبن الفكري .

المنهج المتبع:

لقد كانت المنهجية المتبعة في هذا العمل هو **المنهج التحليلي الوصفي** من خلال عرض حقائق تاريخية ووقفات فكرية في أوقات معينة ومناقشة عدة أفكار ورؤى طغت على الساحة الفكرية.

صعوبات الدراسة:

لكل عمل مواطن صعوبة قد تعتريه ،ولعل ما وقف أمامنا من صعوبات هو قلة من بحثوا وناقشوا كتاب زكي نجيب محمود وأبدوا الرأي و الرأي الآخر فيه ،كذلك من العنوان لا نجد المصادر والمراجع الحديثة التي تناولت المعقول واللامعقول بدراسات نقدية موسعة ،ما جعل منا ننصب على الكتاب المصدر وبعض المقالات في تحليل الفصل الثالث،لذا فإن القارئ لهذا الفصل سيلاحظ قلة وشح المراجع فيه.

فاعتمدت خطة بحث تشكَّلت من **مقدمة** وضعتُ فيها تمهيدا لِواقع التراث الثقافي الإسلامي وما اعتراه من تدهور وعدم مراجعة، ما حمل مفكرنا على الخوض في مسار الفكر العقلي و اللاعقلي به، ثم جعلت للموضوع ثلاثة فصول .

الفصل الأول كان عرضا موجزا للعقلانية الغربية وتوجهاتها وبعض أعلامها (ديكارت و سبينوزا و ليبنتز)كبعض الوجوه البارزة في هذا المجال.

الفصل الثاني وقفت على العقلانية الإسلامية وما عرفته من تطور وتوسع بعد احتكاكها بالحضارة اليونانية وتداعيات الأزمات الفكرية التي كانت مطروحة آنذاك.

الفصل الثالث كان عبارة عن دراسة تحليلية نقدية لكتاب المعقول واللامعقول في قراءة تراثنا الثقافي ،فخصصت له مبحثان :

المبحث الأول المسار الفكري العقلي وتطوره عبر قرون من خلال ما حدده الكاتب .

المبحث الثاني المسار الفكري اللاعقلي وتوجهاته كالتصوف والسحر والتنجيم مع بعض عرض مظاهره و تمثلاته.

ثم أردفت هذا الفصل بتعقيب وهو نظرة نقدية وتحليلية للكتاب بصفة خاصة والعرض الفكري بصفة عامة

الخاتمة كانت عرضا تحليليا لأهم الأفكار التي تناولها البحث وملخصا و نقدا لما جاء به الكاتب ، ودعوة لإعادة النظر في التراث من باب التمحيص واستخلاص الفوائد منه. .

وفي الأخير **الله** نسأل أن نكون قد وُفِّقْنا في عرض فكرة مُبسَّطة لهذا العمل الفكري الذي قد تعجز بعض الأسطر أن تُلِمَّ بجميع أفكاره ،ولكن عزاؤنا هو أن نفتح بابا جديدا لمثل هذه البحوث ،والذي قد يساعد على اختصار الطريق في مثل هذه المواضيع.

الفصل الأول

العقلانيـــة الغربية

01/ مفهومهـــا

02/ نشأتهـــــا

الفصل الأول: العقلانية الغربية

تمهيد:

لقد شكل مصطلح "العقلانية" مصدر بحث معمق لدى الفلاسفة والباحثين خلال مسار التاريخ الفكري الفلسفي و العلمي ،فصار تداوله في كل نسق بحث سواء كان فلسفيا أو علميا أو أي مجال آخر بمعاني ومرادفات مختلفة ،فشكل ذلك تنوعا في التعريفات له بدل أن يكون هناك تعريف جامع لهذا المفهوم .

ويرجع هذا التنوع والاختلاف إلى اختلاف الرؤى والتوجهات الفكرية للفلاسفة والمفكرين وتنوع اتجاهاتهم و مدارسهم من سيكولوجية و سوسيولوجية، وحتى أدبية وفنية ، فبقيت "العقلانية" مفهوما يتنقل بين الفلسفة والعلم،خاصة ما شهدته الفلسفات الكلاسيكية التي ترجع التفكير العقلي إلى الاتجاه التأملي العقلي المحض،أو إلى الواقعية التجريبية،لكن ورغم هذا التباين والاختلاف إلا أن المغزى من كل هذا تقريب وجهات النظر في تعريف ينظر إلى هذه الملكة التي يتميز بها الإنسان وعلاقتها بالبناء المعرفي.

المبحث الأول:مفهوم العقلانية ونشأتها

أ ـ مفهوم العقلانية Rationalisme:

أ ـ 1- تعريف العقلانية:

لغة:

هي اسم مؤنث منسوب إلى **"عقل"** وهو ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات.

و**"عقل"** ما به يتميز به الحسن من القبح والخير من الشر والحق من الباطل.

العقل العملي:هو الذي يمكِّن الإنسان من استنباط المنافع و الفنون.

العقل النظري:هو القوة التي تمكِّن الإنسان من التجريد واستنباط المعارف والعلوم.

و**العقلانية** هي مذهب فلسفي يقول أن العقل مصدر معرفة وليس للتجربة دور فيها ، وخلافه المذهب التجريبي .

عصر العقلانية :هو العصر الذي انتشر فيه المذهب العقلاني ،خاصة فترة حركة التنوير الفلسفية في انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية[1]

اصطلاحا:

ويعرف **ابن منظور**(1232-1311م) **"العقل"** في معجمه لسان العرب (على أنه الحجر والنهي ،وضد الحمق ،وجمعه عقول ،والعاقل هو الجامع لأمره ورأيه ،وهو مأخوذ من عَقلت البعير إذا جمعت قوائمه الأربعة،والعاقل من يحبس نفسه ويردها عن هواها ،وأما قول العرب اعتقل لسانه إذا حُبِس و منع الكلام،وسمي العقل عقلا لأنه يمنع صاحبه من التورط في المهالك ،وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان،وعقل الشيء بمعنى فهمه)[2] .

[1] أنظر معجم المعاني الجامع.

[2] ابن منظور،**لسان العرب** ،دار صادر ،بيروت ،ط1،2003،المجلد 10،ص233.

ونجد **لالاند**(1876-1963) André Lalande في موسوعته الفلسفية يعطي عدة دلالات ومعاني للعقل ،فيعرفه بأنه المَلَكة(Croire)، ومرة بالعلة(Penser) ، السبب (Cause) ويضع له تقسيمين ،عقل مكوّن La raison constituante،وعقل متكوّن منشئ La raison constituée،وهو يعتبر العقل الحامل الأساسي للمعرفة وملكة التجريد ،ومركزا للتفكير وإصدار الأحكام وهو ملكة متعالية شكلت التفوق النوعي للإنسان)[1]

أما **الشريف الجرجاني**(1339-1413م) في كتابه **"التعريفات"** فيعرف العقل بأنه (جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله ،وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا،وقيل العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان،وهو نور القلب يعرف الحق والباطل)[2] .

و القول بأولية العقل تطلق على عدة معاني:

الأول:هو القول أنّ كل موجود له علة في وجوده ،بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجع معقول .

الثاني: هو القول بأن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية ،لأن هذه التجارب لا تفيد علما كليا ،والمذهب العقلي بهذا المعنى مقابل المذهب التجريبي الذي يزعم أن كل ما في العقل هو متولد من الحس والتجربة.

الثالث:هو القول أن جوهر العقل شرط في إمكان التجربة ،فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هناك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس .

[1] أندريه لالاند ،**العقل و المعايير**،ترجمة نظمي لوقا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،مصر ،ص12.
[2] الشريف الجرجاني،**معجم التعريفات** ،تحقيق محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة للنشر و التوزيع والتصدير ،القاهرة،ب ط،2004،ص 127-128.

الرابع: الإيمان بالعقل و بقدراته على إدراك الحقيقة ،وسبب ذلك في نظر العقليين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية،وان كل موجود عاقل ،وكل معقول موجود،فإذا قالوا بأن العقل قادر على الإحاطة بكل شيء ،دون عون خارجي يأتيه من القلب أو الغريزة أو الدين ،كان مذهبهم مضاد لمذهب الإيمانيين Fidéistes .

أ-2- مفهومها:

تعتبر العقلانية سمة بارزة في الفلسفة التنويرية لأنها الحركة التي أعادت للعقل سلطته وجعلت منه المصدر الأول للمعرفة ،فيعرفها **لالاند** بأنها: (مذهب يقر بأنه لاشيء يوجد دون أن يكون له موجب معقول بحيث يصبح قانونا ،وبهذا المعنى فإنه مقابل للتجريبية empricim)[1]

والعقلانية عند بعض علماء الدين هي القول أن العقائد الإيمانية مطابقة لأحكام العقل ، والمذهب العقلي Intellectualisme يرى أن كل ما هو موجود فهو مردود إلى مبادئ عقلية وهو مذهب **"ديكارت "**و" **اسبينوزا"** و" **ليبنتز"** و **" فو لف "** و**"هيجل"** ، ويطلق بوجه خاص على النظرية التي ترجع "الحكم إلى الذهن لا إلى الإرادة ،ولا تفسح المجال للظواهر الوجدانية ولا الإرادية في الأعمال الذهنية "[2] .

والعقلانية بوجه عام هي مفهوم يقول بسلطان العقل ويرد الأشياء إلى أسباب معقولة ، والجذر الاشتقاقي الذي اشتقت منه هو (Rational) وهو الاسم اللاتيني (Ratio) ومعناه (Raison) أي العقل ،ويفهم من الكلمة "الإنسان العقلاني" (Rationaliste)عموما هو الشخص الذي يؤكد قدرات الإنسان العقلية تأكيدا خاصا ،ولديه إيمان غير عادي لقيمة العقل والحجة العقلية وأهميتها .

[1] أندريه لالاند،**موسوعة لالاند الفلسفية**،تعريب أحمد خليل أحمد،منشورات عويدات ،بيروت،ط2،2001،632

[2] د.جميل صليبا،**المعجم الفلسفي** ، الجزء الثاني من (ط) إلى (ي) ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت لبنان ،1982م ،ص 91

العقلانية هي الاتجاه التنويري الذي يثق في الإنسان وقدراته ، فيرفع كل وصاية عليه ويتركه يبحث عن الحقيقة بلا سلطة مفروضة عليه،حيث أن العقلانية ضد السلطة بكل أنواعها (دينية ،سياسية ،اجتماعية..)،فقد حررت العقلانية الإنسان من الأفكار **الدوغماطيقية*** واللاهوتية والأفكار التَّسلُّطية و الآراء التعسفية ،وأفكار ذوي النفوذ والسلطان والإيديولوجيات السياسية التي تقف حجر عثرة في سبيل الانطلاق بعقله إلى آفاق الحرية التي هي تاج التجربة الإنسانية[1] .

ويتضمن المفهوم العام والواسع للعقلانية أن كل من يستخدم العقل كمصدر للبحث فهو عقلي ،وهذا منسوب لبعض الفلاسفة بأنهم عقلانيون ،وذلك من منطلق أفكارهم كأرسطو الذي أولى اهتماما كبيرا للعقل و العاقلة وعلى نحو شبيه بذلك نجده عند الفلاسفة الغربيين المحدثين خاصة في عصر التنوير الذين وصفوا بالعقلانيين ،ويقصد بذلك أنهم كانوا ملتزمين باستخدام العقل والحجة العقلية لتحرير الفلسفة من قيود الفكر اللاهوتي الذي كان مسيطرا لعقود من الزمن.

والعقلانية بمعناها المقيد هي في خلاف ثابت مع التجريبية ،وهذا التميز جاء من منطلق أن التجريبية empricim هي التي تبحث في طبيعة المعرفة البشرية التي تستمد في النهاية من التجربة الحسية ،والعقلانيون خلاف لذلك يذهبون ويؤكدون على دور العقل في اكتساب المعرفة ، ويرفضون تماما ما للحواس من أهمية ،لكونها مجالا فطريا للشبهة ،وهي غير جديرة بالثقة في طلب المعرفة.[2]

* **دوغماطيقية أو دوغمائية**:كلمة يونانية تعني الجمود العقائدي :مذهب أو رأي" و هو التأييد الأعمى لمبادئ مذهب أخلاقي ما ، وهي نهج فكري متزمت يؤمن بامتلاك الحقيقة لاغيا الآخر. د. محمد عثمان الخشت، **الدوجماطيقية أو الدوغمائية**. موقع إسلام أون لاين،2021

[1] د.محمود محمد علي محمد،**مفهوم العقلانية عند ستيفن تولمن** ،مطبعة محسن بصوهاج،مصر ،2008،ص05

[2] جون كوتنهام،ترجمة محمود منقذ الهاشمي،**العقلانية**، مركز لإنماء الحضاري ،حلب ،ط1997،1،ص16

لذا فهم يقرون بالمعرفة القبلية ويعرفونها في بعض الأحيان بأنها المعرفة التي تمتلك قبل التجربة ،ولكن الأصح أن يقال أنها تعرف قبليا إذا تأسست حقيقتها بمعزل عن أية ملاحظة حسية،إذ لا تقتصر المعرفة القبلية على أن تكون تحصيل حاصل ،بل إننا نستطيع بنور العقل أن نصل بمعزل عن التجربة إلى معرفة الحقائق المهمة و الأساسية عن الواقع ،أي عن طبيعة الذهن البشري وعن طبيعة الكون و ما يشتمل عليه[1].

إذن فإن العقلانية هي تلك الحركة التي أعادت للعقل سلطته ،حيث جعلت منه المصدر الأول والأساسي للمعرفة ووسيلة للإثبات والبرهنة على حد سواء،وليست الخبرة كما تدعي التجربة .

والعقلانية ليست مذهبا مغلقا يضم فريقا من الأنصار حاله في ذلك كالماركسية أو الوجودية أو الليبرالية مثلا،بل هي نزعة ومنهج في التفكير ينح إليه المفكرون والفلاسفة بل وحتى الفقهاء داخل منظوماتهم ومذاهبهم الفكرية أو الفلسفية مولين بذلك أهمية كبيرة للعقل ومكانة محورية في نظرية المعرفة وفهم العالم.

فالعقلانية هي اقتراب فكري يعتبر العقل مركزيا في توليد المعرفة الصحيحة ،ويتحدد معنى العقلانية بحسب كل مجال(نظرية المعرفة، الدين، علم الأخلاق، المنطق،العلم الطبيعي،والرياضي)،لكن المعنى الأكثر استخداما وشيوعا هو الذي يتعلق بنظرية المعرفة ، والتي ترى أن العقلانية في مجال نظرية المعرفة هو ذلك المذهب الذي يرى أن المعرفة اليقينية لابد أن تكون أولا كلية بحيث تشمل القضية جميع المجالات الجزئية،وثانيا:ضرورية بحيث تلزم النتائج عن المقدمات لزوما ضروريا ، كما أن العقلانية الفلسفية تعتبر أن الكلية والضرورية صفتان منطقيتان للمعرفة الحقة ولا يمكن أن تستنتجا من التجربة،وأن عموميتها تستنتج من العقل نفسه إما من التصورات المفطورة في العقل (نظرية الأفكار الفطرية عند ديكارت) أو من التصورات الموجودة فقط في صورة الاستعدادات القبلية للعقل التي تمارس التجربة تأثيرها المبينة على ظهورها[2].

[1] المرجع نفسه السابق،ص17.

[2] محمد عثمان الخشت،**العقلانية،جدل الفلسفة والدين**،موقع إسلام أون لاين

وعليه فإن العقلانية ينظر إليها بأنها الصفة البارزة في حركة التنوير في العصر الحديث إذ اعتبرت حركة فكرية ثارت ضد كل معتقد يخالف العقل ،فكانت ولا تزال حركة تهدف إلى التحرر والانفتاح ونبذ الانغلاق و التقوقع ،كما أنها قدمت الحوار ودحض الحجة بالحجة بدل العنف و الجدل العقيم،فهي ترى أن البشر يحكمهم العقل وهذا الأخير يمنحهم القدرة على حل خلافاتهم بمنطق الحوار و التفاوض[1].

ب ـ نشأة العقلانية الغربية:

إن التتبع لمسار العقلانية الغربية منذ بداية التأسيس لها يقف على محطات كبرى وبارزة في تاريخها ،كون هذا المجال يشكل مجال بحث مهم ومؤثر على السياق الفكري الإنساني بصفة عامة والفكر الفلسفي بصفة خاصة.

إذ نجد جذورها الأولى في الفكر الشرقي القديم لاسيما في مصر و الهند ،ونحن نعلم أن بعض الفلاسفة اليونانيين ـ **كأفلاطون** ـ كانت لهم رحلات وزيارات إلى تلك المدن والانتهال من علومها ومعارفها ،ما ساعدهم بعد ذلك في بلورة أفكارهم ونظرياتهم،لكن ما وصل إلينا من تاريخ الفكر أن التيار العقلي بدأت تتوطن دعائمه مع الفلسفة اليونانية بداية من **الفلاسفة الطبيعيين*** و **"فيثاغورس"**** الذي يعتبر من أوائل الفلاسفة الغربيين الذين أكدوا على البصيرة العقلانية ،فقد لاحظ في المثلث قائم الزاوية أن المربع المبني على الوتر الخاص به يساوي مجموع تلك الزوايا الموجودة على جوانبه.

[1] مجدي كمال ،**العقلانية**،دار الكتاب العربي ،دمشق-القاهرة،ط1،2016 ،ص9

*الفلاسفة الطبيعيون يطلق عيهم أيضا الحكماء الطبيعيون هم فلاسفة ظهروا بين القرن الخامس والسادس قبل الميلاد ،قبل سقراط ،ومهدوا الطريق لظهور فلاسفة اليونان في القرن السادس قبل الميلاد،ويتمثل عملهم الفكري في:-مواجهة الفكر الأسطوري السائد،-التفكير في الطبيعة،وأهم فلاسفتهم:- طليس،-أنكسيموندراس،-إنكسيمانس،-هيراقليدس،-بارمينيدس.إسراء غسان حسونه،**من هم الفلاسفة الطبيعيون وماهو أصل الوجودحسب اعتقادهم؟**،موقع أجيب،2021/05/16

**فيثاغورس هو فيلسوف وعالم رياضيات يوناني ولد (569 ق م)في جزيرة ساموس المقابلة لساحل آسيا الصغرى،له الكثير من النظريات الرياضية التي نسبت له ودرس الهندسة ،كما سع ى في تطوير علم الفلك ،درس الموسيقى ،توفي (490ق م)

ومن هذا ذهب فيثاغورس إلى تلخيص العلاقة العقلانية الميتافيزيقية الضمنية في الكلمات ـ كل شيء رقم ـ ومنه نجده قد استوعب هذه النظريات من منظور الرؤية العقلانية التجريدية.

ونجد بعد ذلك الفلاسفة **السوفسطائيين** الذين انتهجوا منهجا عقليا مبنيا على المقياس الذاتي الشخصي باعتبار أن الإنسان مقياس كل شيء وبالتالي فالمعرفة ومحور الكون يترتب أن يدرس ويبنى على الإنسان وكان مسعاهم هنا هو التأمل الذاتي والقياس النسبي من معيار المنفعة الشخصية ،فانطلقوا بمنهج يتلاعب بالأفكار و يوهم العقول من أجل إيصال أفكارهم .

لقد كان **سقراط** (470-399 ق م) من الأوائل الذين تبنوا المنهج العقلي المنطقي بحيث كان يعتقد أن الفهم البشري ينطلق من الذات قبل أن يكون من العالم الخارجي،وذلك من خلال تفكير عقلاني يجسد محورين في عملية البحث وهما **الجسد والروح** ،فالجسد هو الجزء اللاعقلاني ،وهو الخاص بالمشاعر و الرغبات ،وأما الروح فهي الجزء العقلاني،ومهمة الفيلسوف هي الإصلاح ،إي استئصال الجزء اللاعقلاني في عملية البناء الفكري ،ويكون هذا من خلال الإصلاح الأخلاقي،وبعدها تفعيل الروح العقلانية كي يكون الإنسان مكتملا ، والعقلانية عند سقراط لا تقتصر على عملية التفكير فقط ،بل هي تغيير الوعي ، ومعرفة العالم تحتاج أن يدرك المرء روحه أولا.

يعتبر **"أفلاطون"** (427-347 ق م)صرح التفكير العقلي ولعل هذا جاء من تأثره بأستاذه سقراط وبدأ هذا الإعجاب خاصة بالتفكير العقلي التجريدي عندما قام سقراط بتجربة المربع الذي خطه على الرمال وبدأ بمحاورة صبي أميّ ويتدرج معه في المعرفة العقلية عن طريق الاستنباط ،ما جعل أفلاطون يتأثر بالمنطق الهندسي الصارم الذي يمكن الوصول إلى أشكاله الشهيرة فقط عن طريق العقل وليس الحس ، لدرجة أنه وضع لافتة على مدخل أكاديميته مكتوب فيها "لا يدخل هنا أحد غير مطلع على الهندسة" [1] .

[1] أمل العطوم،**تاريخ الفلسفة العقلانية الإغريقية**،موقع موسوعتك بالعربي ،28سبتمبر 2020 E 3arabi.com

هذا الإعجاب بالهندسة كان من منطلق أن إدراك الأشكال كالمثلث و المربع لا يمكن فهمه أو تصوره من دون أن نعتمد على العقل التجريدي ،لذا رأى أفلاطون أن الشكل هو هدف مثالي يجب الوصول إليه ،أي هو هدف غير معقول يقترب منه الشيء المعقول ،فلقد تصور أفلاطون الأشكال على أنها أكثر واقعية من الأشياء المعقولة التي هي ظلالها،ورأى أن الفلاسفة يجب أن يتغلغلوا في هذه الجواهر غير المرئية ويروا بأعينهم كيف ترتبط بعضها ببعض.

إن **أرسطو**(384-322 ق م) تصور عمل العقل بالطريقة نفسها التي قال بها أستاذه أفلاطون تقريبا ،على الرغم من أنه لم ينظر إلى الأشكال على أنها مستقلة ،وتكمن مساهمته الرئيسية في العقلانية في منهجه وعلمه الذي أسسه وهو المنطق الأرسطي ،الذي يشكل الأداة الرئيسة للتفسير العقلاني ، فالعقل يشرح للبشر حقائق معينة من خلال إخضاعها للمبادئ العامة [1].

أما في العصر الوسيط الأوربي كانت العقلانية تتحرك داخل الدين واتخذت عقائده مسلمات مطلقة ،وصار العقل يتحرك تحت سلطة الكنيسة أو اللاهوت المسيحي ،سواء لاهوت الأرذوكسية اليونانية أو لاهوت الكاثوليكية الرومانية ،فاعتبر العقل أداة للدين مثلما هو الحال عند القديس **سانت أوغسطين** Sante Augustine (354-430)، و**أنسلم** Anselme(1033-1109م)،و**توما الإكويني** Thomas Aquinas(1225-1274)،حيث كانوا يوظفون الفكر الفلسفي في تبرير العقائد المسيحية ،والدفاع عنها ضد الشبهات والانتقادات .

وفي مطلع العصر الحديث جاء **"ديكارت"** René Descartesالذي يعده الكثيرون أبا للعقلانية الحديثة ،لأنه انطلق من الفكر العقلاني الخالص كمقدمة أولى استنبط منها الحقائق اليقينية ،وقد ذهب **"سبينوزا** "Spinoza(1632-1677م) إلى القول بمذهب وحدة الوجود ،أي أن الله و العالم جوهر واحد ،ووصل إلى ذلك بطريقته الاستنباطية العقلية الهندسية المعروفة عبر سلسلة من الاستدلالات [2].

[1] المرجع السابق نفسه.
[2] د.محمد عثمان الخشت،**العقلانية ،جدل الفلسفة والدين**،موقع إسلام أون لاين.

ومن العقلانيين في القرن السابع عشر" **مالبرانش**"Malebranche(1638-1715م) و"**جولينكس** "Geulincx(1624-1669) وغيرهما من صغار الديكارتيين ،ومن أهم الفلاسفة العقلانيين في القرن السابع عشر الفيلسوف الذي ذهب إلى إيجاد توافق بين الحقيقة الدينية والحقيقة العقلية، الألماني **"ليبنتز"** Leibniz(1646-1716م)،إذ لا مجال عنده لأي نوع من التنافر بين كنههما ،فالحقيقتان منسجمتان ،لكن أسلوب التوصل إلى الحقيقة الدينية مغاير لأسلوب التوصل إلى الحقيقة العقلية ،فالأسلوب الأول هو الوحي الخارق للأساليب الطبيعية،بينما الأسلوب الثاني هو الاكتساب العقلي المؤسس على طرق طبيعية،ومن هذا التوافق بين الحقيقتين يؤسس ليبنتز الإيمان على العقل .

وإذا انتقلنا إلى القرن التاسع عشر نجد الفيلسوف الألماني **"هيجل"**Hegel(1771-1834م) نجد أن المثالية قد اتخذت شكل المثالية المطلقة ويذهب إلى أن الوجود في حقيقته روح مطلقة يتطور في التاريخ تطورا جدليا ،فهو يرى أن الروح اللانهائية أو الفكرة المطلقة غير المحدودة حقيقة وأساس الوجود وليس المادة ،لذا فإن **"هيجل"** يرى أن المادة ما هي إلا تجلي من تجليات الروح،وأن للكون روحا واحدة تتجلى في عدة مراحل متتالية ،حيث تنتقل الفكرة إلى نقيضها ،ثم يتصارع النقيضان ويتفاعلان ،وينشأ عن هذا فكرة جديدة مركبة من الفكرة ونقيضها ،وتستمر الحركة حيث تمر الفكرة الجديدة بالمراحل السابقة نفسها.

وأما في الفلسفة المعاصرة يتوضح لنا ذلك مع **"راسل "*** وفلسفته التحليلية الذي توجَّه إلى المذهب الواقعي بعد أن خاض في دروب الرّياضيات و الفلسفة الهيجلية ردحا من الزَّمن ، ولما لم يجد مبتغاه من الإجابات الشافية انصرف إلى اتجاه جديد منطلقا من رفضه للمثالية التي تُنكِر على الرياضيات أي صدق موضوعي ، وكان هدفه أن يرد الرياضيات إلى المنطق بتحليل حدود الرياضيات الأساسية إلى مفاهيم منطقية خالصة وأحكام نسق منطقي يكفل لنا المقدمات التي يمكن أن نستنبط منها قضايا الرياضيات ، وهذا ما جاء في كتابه **"الأسس**

*__برتراند آرثر ويليام إيرل راسل الثالث__ Bertrand Arthur William 3rd Earl Russell فيلسوف وعالم منطق و رياضي و مؤرخ و ناقد اجتماعي بريطاني ولد يوم1872/05/18 بـ ويلز بالمملكة المتحدة، أخذ جائزة نوبل للسلام في الأدب سنة 1950،له مجموعة من المؤلفات منها "مبادئ الرياضيات" و "الأسس الراضية" و "البناءات المنطقية""كتاب تاريخ الفلسفة الغربية""مشكلات الفلسفة"العلم والدين"،توفي في 1970/02/02.كتاب **"فلسفة برتراند رسل"** ص35،36

الرياضية". لذا بدأ **" المذهب التحليلي"*** يتجسّد في فلسفة **"رسل"** الذي بصم له على صورة ناصعة في مجال الفكر الرِّياضي و المنطقي ، مما جعله يعالج فيما بعد كل القضايا الفلسفية

والمشكلات الفكرية التي عايشها تحت شعار **"الفلسفة العلمية"**** التي تتحرر من المثالية وتعيش مع العلم وعصره، وهو ينتهي إلى أنَّ الموضوعات المادية أو الفيزيقية التي لا يمكن أن تكون موضوعا لمعرفتنا المباشرة قبل أن نستدلَّ عليها بما نعرفه بطريقة مباشرة وهي المعطيات الحسية ،فتبنَّى سنة 1914 منهج **"البناءات المنطقية"***** الذي كان قد أطلقه بنجاح في مجال النَّظريات ،لذا لم تعد الموضوعات المادية و العالم الخارجي استدلالات من المعطيات الحسية ،بل أصبحت بناءات منطقية من هذه المعطيات.[1]

* **المذهب التحليلي** أو الفلسفة التحليلية هي نوع من أنواع المدارس الفلسفية وتنصب على اللغة وتحليلاتها ،حيث يتم التخلص من كل ما يشوب التعبيرات اللغوية من التباسات أو غموض أو خلط لبعض الأمور و الحقائق،وبتعريف آخر هي تلك العملية التي يراد من خلالها اكتشاف كل العناصر المختلفة التي تتعلق بموضوع ما بهدف تحقيق غرض معين ، أبرز أعلامها برتراند راسل و جورج مور.منى سعيد،**تعريف الفلسفة التحليلية**.موقع المرسال.2020/03/04

** **الفلسفة العلمية** هي ذلك النوع من الفلسفة الذي يخرج الفكرة من كونها مجردة وتحويلها إلى سلوك عملي يمكن ممارسته وتسلط الضوء على المبادئ الأولية التي تفرض سيطرتها على السلوك الإنساني في مجتمعه ويرجع تاريخ ظهورها إلى الفترة 1596-1650 م على الفيلسوف "ديكارت".إيمان الحياري.**مفهوم الفلسفة العلمية**.موقع موضوع . تاريخ 2017/05/28

*** **البناء المنطقي** أو مذهب الذرية المنطقية هو اعتقاد فلسفي نشأ في أوائل القرن العشرين مع تطور الفلسفة التحليلية على يد برتراند رسل وتلميذه لودفيج فيتجنشتاين ، وترى هذه النظرية أن العالم يتألف من "حقائق"منطقية نهائية(ذرات)لا يمكن تقسيمها أكثر من ذلك .عبد الله عبد السلام سحلب.**الذرية المنطقية(برتراند رسل ـ لودفيج فتجنشتين)**.مجلة جامعة سبها،كلية الآداب.المجلد السادس،العدد الثاني،2007

[1] د.محمد مهران، **فلسفة برتراند رسل** ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دار المعارف مصر ، ب ط ، ب تاريخ ، ص35، 101.

المبحث الثاني:أعلام العقلانية الغربية الحديثة(*ديكارت،سبينوزا،ليبتنز*) نماذج

تمهيد:

تعتبر العقلانية الغربية الحديثة مرحلة مهمة في مسار النهضة الفكري ة الأوربية ،وهذا من خلال ثورتها على الفكر اللاهوتي الذي طغى لردح من الزمن على الساحة الفكرية،فكانت النظرة العقلانية هي بمثابة إعادة الروح إلى الجسد من خلال إعادة ضبط النمط الفكري من جديد من خلال الاعتماد على العقل في البناء الفكري لأنه يشكل جوهر الإنسان الخالص والذي به فقط يتحرر من القيود المفروضة عليه ،فكانت فترة حاسمة في مجال الفكر من خلا فتح الطريق أمام المفكرين للإبداع والتطور ولانتهاج سبلا جديدة في طريق المعرفة .

ولعلنا في هذا المبحث سنسلط الضوء على أهم أعلام العقلانية الغربية وإن كانوا كثر ، فسنركز على البعض منهم وهم (ديكارت و سبينوزا و ليبتنز) الذين شكلوا فارقا و كبيرا في هذا المجال.

01- ديكارت:René Descartes

يعتبر أول فيلسوف محدث وواحد من أبرز الرياضيين في تاريخ الفكر البشري ومؤسس الفلسفة الحديثة ،ولد في " لاهاي " عند تخوم "تورين" و"بواتو" بفرنسا في 31 مارس1596م ،وكان أبوه "يواكيم ديكارت "يتمني إلى نبالة أهل القضاء،توفيت والدته وهو حديث السن وربته جدته في الريف بين "تورين" ومقاطعة "بروتانيا" عانى المرض منذ صغره تلقى تعليمه الأول بمعهد "لافليش" الذي كانت القاعدة الأساسية التي زودته بالرياضيات الحديثة،وتحصل على الباكالوريا وعلى إجازة الحقوق دفعة واحدة في "بواتيه" عام 1614م ، انخرط في الجيش الهولندي عام 1617م.[1]

1جورج طرابيشي،**معجم الفلاسفة(الفلاسفة،المناطقة ،المتكلمون،اللاهوتيون ،المتصوفون)**،دار الطليعة بيروت ،ط3 ، 2006، ص299،298

لقد مكث في هولندا آنذاك لما كانت فيه من حالة سلم وهدوء،فنعم بسنين من التأمل لم يعكر صفوه أحد،ولينجو كذلك من خطر التعرض للاضطهاد الذي كانت تمارسه عليه الكنيسة الكاثوليكية ،وألف خلالها بعض كتاباته المهمة .

كان ديكارت فيلسوفا ورياضيا ،ورجل علم ،وكان عمله في الفلسفة والرياضيات ذا أهمية عظمى خاصة في الهندسة من خلال الهندسة التحليلية،وقد استخدم المنهج التحليل الذي يفترض مشكلة محلولة،ويفحص نتائج الافتراض،وطبق الجبر على الهندسة،والكتاب الذي قدم فيه معظم نظرياته العلمية هو"مبادئ الفلسفة"الذي نشره سنة 1644،ومع ذلك كان له كتب لا تقل أهمية منها :"محاولات فلسفية"(1637) و"عن تكوين الجنين"،وقد اعتبر أجسام الناس والحيوانات آلات ،والحيوانات آلات ذاتية تحكمها قوانين الفيزياء ،وخالية من الشعور أو الوعي،والناس يختلفون عنها فلهم نفس تقيم في الغدة الصنوبرية،ومنها تتصل النفس" بالأرواح الحية "Vital spirits،وعبر هذا الاتصال يحدث التفاعل بين النفس والبدن،غير أن أتباعه في مدرسته تخلوا عن هذا الجزء من نظريته (جولينكس و مالبرانش وسبينوزا)[1] .

وما يهمنا هنا هو أهم كتابين لديكارت اللذان ينصبان على الفلسفة الخالصة و هذان الكتابان هما **"المقال في المنهج"**(1637) و**"التأملات"**(1646) وهما يتداخلان تداخلا كبيرا وليس من الضروري الفصل بينهما،وفي هذين الكتابين يبدأ "ديكارت" يشرح منهج **"الشك الديكارتي"**،الذي أسس لفلسفته من خلال العزم على الشك في كل شيء يستطيع أن يشك فيه ، ويقول : (**فبينما أريد أن أظن كل شيء باطلا ،فلابد بالضرورة أنني أنا الذي ظننت ،كنت شيءا ،وبملاحظة أن هذه الحقيقة ،أنا أفكر ،وإذن فأنا موجود ،كانت من الرسوخ واليقين بحيث أن أشد افتراضات الشكاك تطرفا كانت عاجزة عن إبطالها حكمت بأنني أستطيع أن أتقبلها بدون تردد كالمبدأ الأول الذي أبحث عنه)**[2]، هذه الفقرة هي لب نظرية ديكارت في المعرفة وتشمل أهم ما في فلسفته.

[1] برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة الغربية.الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة**، ترجمة د.محمد فتحي الشنيطي ،المكتبة المصرية العامة للكتاب،1977، ص111و112

[2] ينظر في :برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة الغربية** ،المرجع نفسه السابق ،ص113

لقد كانت فلسفة ديكارت مهمة عندما وضع ثنائية الذهن والمادة التي بدأت مع أفلاطون وتطورت في الفلسفة الحديثة لأسباب دينية على أوسع نطاق ،والمذهب الديكارتي يرى أن هذين العنصرين مستقلان عالم الذهن وعالم المادة ،وكل منهما يمكن دراسته بالإحالة إلى الآخر ،فكون الذهن لا يحرك البدن ،كانت فكرة جديدة الفضل فيها صراحة لجالينكس وضمنيا لديكارت ،وكان الفضل لها في أنها جعلت من الممكن القول بأن البدن لا يحرك الذهن [1].

توفي ديكارت في سن 55 (11فيفري 1650) بمرض ذات الرئة بالسويد.

تعقيب:

رغم ما قدمه ديكارت من نظريات وفلسفة غيرت الفكر الفلسفي الحديث إلا أن له بعض ما يؤخذ عليه حينما حول العلم الطبيعي علما رياضيا بحتا من خلال إسقاط الرياضيات برموزها على الظواهر الطبيعية العينية ،و نقطة أخرى عندما تصور الأجسام الخارجية آلات أي مركبات صناعية خالية من كل طبيعة أو ماهية فأبحت هيكلا مفرغا فلا نقول أن الإنسان "حيوان ناطق" بل نقول أن "الإنسان نفس وجسم"،وملاحظة أخرى حينما أخرج العقل من دائرة إدراكه للعالم الخارجي ووقعه في في عزلة داخل نفسه،وملاحظة أخرى قد عدل عنها تلاذته فيما بعد حينما قال بأن النفس تتواجد في الغدة الصنوبرية والتي هي مركز التفاعل بين الجسم والعقل.[2]

[1] المرجع نفسه السابق ص119.

[2] يوسف كرم ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،مصر،2012/08/26 ص 92

02- باروخ سبينوزا: Bendictus de Spinoza

ولد باروخ سبينوزا في 23نوفمبر 1632 في حي أمستردام من عائلة غنية اسبانية أو برتغالية الأصل ،ومعنى اسمه هو المبارك أو الذي يرعاه الإله.

تلقى تعليمه الأول في المدارس اليهودية ما اكسبه ثقافة ولغة عبرية،بدا العمل في التجارة في محل أبيه رفقة أخيه،بدا يتعمق في دراسته للفلسفة والتلمود الوسطوي خاصة منها ألواح موسى وأفكار ابن عزرا وكذا الفلسفة اليهودية ،ما اكسبه عداوة مع الكنيس اليهودي والطائفة اليهودية التي نفته من المجتمع اليهودي ،وفي هذه الفترة كان يرتاد على مدرسة الفيلسوف **فرانسيس فان إيدن** المعروف **بأفينوس** أين تعلم فيها اللاتينية ودرس التاريخ وفلسفة العصور القديمة وفكر **فرانسيس بيكون** و**توماس هوبز** وكذا مؤسس السياسة الواقعية الأول **ميكيافيلي**،بالإضافة إلى الانهماك في فلسفة ديكارت وقراءتها والتي ستكون القاعدة الأساسية لفلسفة سبينوزا.[1]

ولاشك أن قرار النفي يدل على كونه صار يشكل خطرا بأفكاره على اليهود وهذا ما نلمسه في مؤلفاته:

01ـ "الرسالة القصيرة"سنة 1960: الذي ركز فيه على فكرة الإله باعتباره علة للكل وللإنسان طبيعة معينة وهي طبيعة الانفعالات.

02ـ "رسالة في إصلاح العقل "سنة 1661-1677:تحدث فيه عن الخير الذي يسعى إليه الإنسان والخير الأسمى والذي هو الخير الحقيقي.

03- "رسالة في اللاهوت والسياسة" سنة1670:يعتبر هذا الكتاب مرحلة فاصلة لأنه كان في فترة التي عكف فيها على كتابه **الإيتيقا.**

[1] عبد السميع البجيري.**كل ما تريد معرفته حول الفيلسوف باروخ سبينوزا وحياته ومؤلفاته**،موقع دخلك بتعرف ، 20مارس2017 على الساعة 13:28 dkhlak.com/philosopher-baruch-spinoza

04- "مبادئ الفلسفة الديكارتية " و "خواطر ميتافيزيقية" سنة 1633هما الوحيدان اللذان نشرا باسم سبينوزا وبشكل صريح في حياته ،فكتاب "مبادئ الفلسفة الديكارتية"هو تعليل لما قام به ديكارت بالشك في كل شيء،وأما كتاب "خواطر ميتافيزيقية"عبارة عن ملحق أو تذيل لكتاب مبادئ الفلسفة الديكارتية ،ويهتم بالتطرق للصعوبات المتواجدة في الميتافيزيقا.

05- الإيتيقا سنة1677:لم ينشر هذا الكتاب حفاظا على سلامته الشخصية إلا بعد وفاته ،وتناول فيه مواضيع متميزة (الميتافيزيقا ،علم النفس ثم الأخلاق ونمط السلوك[1].

ومذهب سبينوزا الميتافيزيقي هو ثمة جوهر واحد فقط "الله أو الطبيعة"،و ليس ثمة شيء منتهاه موجود بذاته ،إذ الفكر والامتداد معا هما من صفات الله ،ولدى الله عدد لا متناهي من الصفات الأخرى مادام يلزم له في كل حالة أن يكون لا متناهيا،أما النفوس الفردية والأجزاء المنفصلة للمادة هي **نعتية** ،هي ليست أشياء بل محض مظاهر للكائن الإلهي .

وكل شيء تحكمه ضرورة مطلقة وكل شيء يحدث فهو تجلي لطبيعة الله التي لا يمكن فهما أي لا وجود للصدفة أو غير ما هي عليه ،لأن ذلك سيوقع في فكرة الخطيئة .[2]

نقطة أخرى في فلسفة سبينوزا وهي "الانفعالات "وتأتي بعد مناقشة ميتافيزيقية لطبيعة الذهن وأصله ،وهي تفضي إلى القضية: (للذهن الإنساني معرفة ملائمة بماهية الله السرمدية اللامتناهية)،بيد أن الانفعالات تلهينا وتعمي رؤيتنا العقلية للكل ،فيقال:(**أن كل شيء بقدر ما هو في ذاته ،يحاول أن يبقى في كيانه)**[3].

وعموما فقد عاش سبينوزا حياة البساطة والتواضع وبشكل فلسفي خاص فقد مزج بين الزهد وحب الحياة ،فمن تَرْكِ الغنى والعيش بعمل اليد استطاع أن يقدم فلسفة وفكرا جديدا ، واستطاع أن يؤسس أرضية أولية لمجموعة من العلوم على رأسها علم النفس و الأنثروبولوجيا، وأن يقدم تصور قديما في شكل جديد للوجودية،وهذا ما جعل العديد من الفلاسفة يوطئون لفلسفته بأنها لبنة أساسية في الفلسفة الحديثة ،فيقول عنه **"هيجل"**: (سبينوزا نقطة تصالب في الفلسفة الحديثة .

[1] المرجع نفسه السابق .
[2] برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة الغربية** ،المرجع نفسه السابق ،ص124
[3] ينظر في :برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة الغربية** ،المرجع نفسه السابق ،ص125

والإحراج هو :إما سبينوزا أو لا فلسفة...ومتى يبدأ المرء بالتفلسف ،فلا بد له أولا أن يكون سبينوزيا)،ويقول عنه **فيرديناند ألكييه**: (سبينوزا هو من أراد أن يعطي الإنسان بنعمة العقل وحدها جوهر ما وعدته به الأديان:الحياة الأبدية والغبطة...فهو إذن أكثر طموحا من هيجل من حيث أنه تطلع لا لإلى فهم الدين أو احتوائه في مذهبه،بل إلى استبداله وفتح طريق إلى الاستغناء عنه)[1].

تعقيب :

لقد لزم سبينوزا أن الكل هو واحد ضروري وأن العلة الأوحد هي علة باطنة لجميع الظواهر وبهذا يكون ألغى ثنائي النفس و الجسم والتفاعل بينهما وتمايز العقل و الإرادة وكذلك ثنائية الله والعالم فانتهى بذلك إلى الآلية المطلقة ومحا الغائية ،فوقع في صعوبات عديدة مثل صياغة مذهبه على مبدأ أن الوجود مطابق للمعاني،ولم يوفق كذلك بين وِحدة الجوهر وكثرة الصفات والأحوال،وكذلك وقع في مشكلة التفاعل في نوعي العلاقة في العلة(علاقة الجوهر والصفات والأحوال،وعلاقة الأحوال ببعضها)في كيفية التوفيق بنهما؟،ونقطة أخرى في التمايز بين الفكرة الصادقة والفكرة الكاذبة في أنهما متشابهان ولا يختلفان في درجة الصدق،وبهذا فهو يلغي التمايز الجوهري بين الخير و الشر.[2]

03- ليبنتز،غوتفريد فلفهلم Leibniz,Gottfried Wilhlem:

يعتبر من أعظم فلاسفة الألمان ،وهو عالم رياضيات ولاهوتي وكيميائي وهندسي ومؤرخ ودبلوماسي ،ولد في 01 جويلية 1646 في **لايبتزغ** ،ومات في14نوفمبر 1716 في هانوفر ،كان أبوه أستاذ الفلسفة الأخلاقية في مؤسسة دينية بلايبتزغ ،تعلم اللاتينية بمفرده كما تشبع بثقافة أدبية وفلسفية من مكتبة أبيه ،ما أكسبته رغبة في الخوض في المنطق و الميتافيزيقا ،التحق بكلية الفنون وقرأ للعديد من الفلاسفة كـ **"فيشينيو"** و **"كاردانو"** و**"بيكون"** و **"كامبيلا "** و**"ديكارت"** ،وهؤلاء ممن رفضوا الفكر المتجمد للعصر الوسيط، نال شهادة البكالوريوس في الفنون درس الرياضيات العليا في "أيينا" .

[1] ينظر في :**معجم الفلاسفة** ،المرجع نفسه السابق ،ص260،261

[2] يوسف كرم،**تاريخ الفلسفة الحديثة**، ، مرجع سابق ،ص127

كما انتسب لكلية الحقوق ثم التحق بجامعة آلتدورف وتحصل على الدكتوراه ومن ثم بدأ إشعاع النبوغ الفلسفي يتجسد ويعطي ثماره من خلال كتاباته. [1]

لقد أسس **"ليبنتز"** فلسفته مثل ديكارت و سبينوزا على فكرة الجوهر ،ولكنه يختلف اختلافا جذريا عنهما بصدد العلاقة بين الذهن والمادة ،وبصدد عدد الجواهر ،فهو يأخذ بأن الامتداد لا يمكن أن يكون صفة للجوهر وحجته في ذلك أن الامتداد ينطوي على التعدد وعليه فهو ينتمي إلى مجموع من الجواهر ،وكل جوهر مفرد يلزم أن يكون غير ممتد وبالتالي هناك عدد لا متناهي من الجواهر التي دعاها بـ **"مونادا " "الجواهر الفردة"** Monads ، وكل جوهر هو نفس وبالتالي تنحية الامتداد كصفة جوهرية ،وتبقى صفة الفكر هي الوحيدة الباقية ، أي إنكار واقعية المادة .[2]

ماذا تدرك المونادات ؟إنها تدرك العالم أجمع لأنها محاكيات للذات الإلهية ،وكل منها مرآة للوجود لأنه لما كانت الأشياء متصلة فليس يمكن إدراك جزء دون إدراك الكل ،غير أن كل **مونادا** تدرك العالم من وجهة خاصة بها ،أي مجال إدراك متميز ولا تدرك ما يجاوزه إلا إدراكا مختلطا ،وفوق كل هذه المونادات المتناهية توجد المونادا العظمى اللامتناهية أو **الله** ، ووجود **الله** ثابت بأدلة عقلية وأخرى دينية ،وهي أن المونادات لا تنتقل من العدم إلى الوجود فجأة ،لأن أصلها متناهي في الصغر وموجود في الذات الإلهية وهي تتحقق لأسباب وإرادة الخالق،وأما الدليل الديني فنجده في دليل القديس أنسلم في فكرة أن الله ممكن أي أنّ فكرة الله لا تتضمن تناقضا ويقول : (**إن الله واجب بموجب ماهيته ،فإذا كان الله ممكنا ،كان موجودا**)[3].

[1] [1]جورج طرابيشي،**معجم الفلاسفة(الفلاسفة،المناطقة ،المتكلمون،اللاهوتيون ،المتصوفون)**،مرجع سابق ،ص579،578

[2] برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة الغربية** ،مرجع سابق ،ص144

[3] ينظر في:يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة ،مرجع سابق ،ص 141

وعليه فإن خلق المونادات ليس فعلا تعسفيا أي أنه لا يمكن أن يكون الله خاضعا للضرورة فله مطلق الحرية والتصرف،ما في فكرة الشر فهو يميز بين ثلاثة أنواع للشر : الشر الميتافيزيقي وهو النقص بالإجمال،والشر الطبيعي وهو الألم،والشر الخلقي وهو الخطيئة.[1]

وتعتبر نظرية الانسجام الأزلي تتويجا لفلسفته إلى حد أنه كان يوقع أعماله بهذه العبارة"مؤلف الانسجام الأزلي"،فقد كانت عنصرا أساسيا في فلسفته بعد نظرية الجوهر ،وهي مستوحاة من الفلسفة الديكارتية ،وقد وضعها ليبنتز كحل لمشكلة علاقة النفس بالجسم خصوصا وعلاقة الجواهر بعضها ببعض عموما ،وفحواها أن الله خلق النفس والجسم ووضع في كل منهما قوانينه الخاصة به منذ البداية، وهما يتطوران كل وفق قوانينه لكن بتوافق وانسجام مع الآخر،فيحدث التطور في النفس بمقتضى العلل الغائية ،في حين أن الجسم يتطور بمقتض العلل الفاعلة ويقول في هذا: (**إن الأجسام تعمل كما لو لم تكن هناك نفوس (وهذا مستحيل)،وتعمل النفوس كما لو لم تكن هناك أجسام ،ويعمل الاثنان كما لو أن أحدهما يؤثر في الآخر**)[2]،ومثال ذلك ساعتان تم صنعهما وضبطهما بدقة ليكون بينهما توافق دائم ،لكن لا يعني هذا التوافق أن إحداهما تؤثر في الأخرى ،ومعنى هذا أن الله قد وضع للكون "برمجة " أزلية ،يقول "ألبير نصري نادر"في تقديمه لترجمة "المونادولوجيا": (**فإنه {الله} جعل بالقوة منذ بداية الخليقة في كل مونادة مجموعة الإدراكات التي ستحوز عليها ،وكون كل المونادات بحيث أن كل واحدة تنشر إدراكاتها كأنها وحدها،لكنها تتفق و إدراكات بقية المونادات لحظة فلحظة)**[3].

يبدو أن نظرية الانسجام الأزلي حل "ذكي"للمشكلة التي تطرحها طبيعة المونادا كما حددها ليبنتز ولما يبدو بين الجواهر من اتصال وتفاعل ظاهريين.[4]

1 يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة ،المرجع نفسه السابق ،ص 142

2.LEIBNIZ G.W .**Monadologie**.op.cit.p169

3 ينظر في :نادر ألبير نصري،(عرض وترجمة)المونادولوجيا أو مبادئ الفلسفة،اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت ،1956،ص20

4 أ.د بلبولة مصطفى،**ليبنتز ديكارتيا**،جامعة حسيبة بن بوعلي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،الشلف،ص123

الفصل الثانـي :

العقلانيـــة في التـــــراث

01/ مدلول العقلانية في التراث الاسلامي

02/ المدلول الفلسفي والعلمي

03/ بين المعقول واللامعقول

الفصل الثاني: العقلانية في التراث الإسلامي

تمهيد:

لقد بدا واضحا تأثير الفلسفة اليونانية على التراث الفكري الإسلامي من خلال ما ورد إلى المكتبات الإسلامية بعد ثورة الترجمة ،فكان التأثر باديا عند بعض المفكرين والفلاسفة أمثال **الكندي وابن سينا والفارابي** من خلال منطق أرسطو و جمهورية **أفلاطون** وغيرها من الكتب الفلسفية والنظريات المعرفية التي عملت على صقل الفكر الإسلامي ،من المنطلق الديني إلى التفتح على الفكر النظري العقلي ، والذي كان واضحا أثره في صياغة المفاهيم الإسلامية في صورة فلسفية عقلية جعل النمط الفكري يدخل مسار الفلسفة من بابها الواسع، ويحدث نقلة جديدة سترسم للتراث الفكري صورته التي بقيت مشعة لسنين ،ولعلّ هذا ما جعل النظام المعرفي في الفكر الإسلامي يتفرد بخصائص متميزة عن الفكر الغربي ،فقد استطاعت المنظومة المعرفية لهذا الفكر أن تجمع بين الوحي والعقل في مزيج غير متعارض وهذا بخلاف ما كان سائدا في الفكر الغربي - كما رأينا سابقا - ،ويرى في هذا **كانط** أنه لا يمكن تأسيس الإيمان على الإدراك العقلي .

لذا سنسلط الضوء على العقلانية الإسلامية منذ بداياتها الأولى إلى ما وصلت إليه في ،وكذلك تأثير الفكر المقابل للعقلانية وهو اللاعقلانية التي كانت واقفة ورافضة لمثل هذا التوجه الفكري .

المبحث الأول: مدلول العقلانية في التراث الإسلامي

تعرف اللغة العربية ،كونها لغة علم ومنبع لا ينفد من المفردات و المصطلحات ، لذا نجد في هذا المجال العديد من المصطلحات التي تشير إلى العقل و العقلانية أو التعقل أو الإدراك، والمتأمل في الشريعة الإسلامية بمصادرها المتنوعة يجد أن الدين الإسلامي قد كرم العقل واحترمه وفتح له الآفاق ودله وأرشده للغايات العظمى في الوجود ويظهر هذا جليا في النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة .

فالقرآن الكريم كما انه كتاب هداية للبشرية من ظلمات الغي و الباطل ،فهو كتاب وجه خطابه إلى العقل في كثير من الآيات ،وحثه و استثاره على التأمل والتفكر في دلائل الوجود وفي الآفاق وغيرها يقول تعالى :{**سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**} سورة فصلت:آخر السورة،إنه كتاب فيه مرتع خصب للعقل الراجح وبناء ملكاته وتقويم اعوجاجه،لذا فقد تنوع الخطاب القرآني للعقل بشكل يبين مجالات العقل ومواطنه[1] ، والتي وردت في العديد من الآيات ، فما يشير إلى العقل مثلا كلمة "**النهى**" لقوله تعالى:{**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**} سورة طه،الآية :124.
وكلمة "**الألباب**" لقوله تعالى:{ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**} سورة البقرة ،الآية 269:.

وحتى كلمة **الفؤاد والقلب** من مفهوم التبصر و التعقل لقوله تعالى:{ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ فتَكوُنَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بهَا أو آذان يسمعون بها** صلى **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنَ تَعْمَى الْقُلُوبُ التِي فِي الصُّدُورِ**} سورة الحج ،الآية:44 .

1 نجلاء بنت محمد آل الشيخ،**العقل في القرآن الكريم**،شبكة الألوكة،بتاريخ 2019/04/28

ووردت دلالة **التعقل** في أربع وعشرين موضعا ، منها قوله تعالى:{**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} سورة البقرة:242،وقوله تعالى:{**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**} سورة البقرة الآية:171.

وورد كذلك في صيغة التعقل قوله تعالى: {**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**} سورة الملك،الآية:10.

وفي عَقَلُوه ،قوله تعالى:{**ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} سورة البقرة ، الآية: 75.

وورد العقل في صيغة الحِجْر مرة واحدة في قوله تعالى:{**هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ** } سورة الفجر،الآية:5.

وورد في صيغة التفكُّر في قوله تعالى:{**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** } سورة سبأ، الآية:46 ، وهنا دلالة على القرآن قد وضع للمسلم منهج عظيم يجعل هذا العقل يسير وفق ما رسمه الله له فيقبل الحق من غير تشويش ولا زعزعة لفطرته وفكره.

ولقد استحث القرآن العقل وخاطبة بخطابات مباشرة لإدراك الغاية العظمى من الوجود ودعاه للتأمل في خلق الله الدال على وجوده فقال تعالى:{**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الَارْضِ وَاخْتِلَافِ الْلَيْلِ وَ النَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ الله مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الاَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} سورة البقرة ،الآية:164.

ويقول **ابن عاشور*** رحمه الله في تفسير هذه الآية : (**فوجد دلالة هذه الآيات على الوحدانية أن هذا النظام البديع في الأشياء المذكورة ،وذلك التدبير في تكوينها وتفاعلها، و ذهابها وعودها ومواقيتها،كل ذلك دليل على أن لها صانعا حكيما متصفا بتمام العلم والقدرة والحكمة وهي الصفات التي تقتضيها الألوهية**)[1] .

*هو :**محمد الطاهر بن عاشور** :رئيس المفتين المالكيين بتونس ،وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس،ولد سنة1296هـ له مصنفات كثيرة منها(مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)توفي سنة 1393هـ .

[1] ينظر في: نجلاء بنت محمد آل الشيخ،**العقل في القرآن الكريم**،مرجع سابق

أما عن العقل وفي السنة النبوية الشريفة فقد ورد في عدة مرات فمنها :

في صحيح البخاري(رقم1369،293):

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : خرج رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في أضحى أو فطر إلى المصلى،فمرّ على النساء،فقال :**{يا معشر النساء ،تصدقن ،فإني رأيتكن أكثر أهل النار}** ،فقلن :وبم يا رسول الله ؟ قال : **{تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن}**،قلن :وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله؟ قال :**{أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟}** قلن :بلى ،قال:**{فذلك من نقصان عقلها ،أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟}**، قلن : بلى،قال :**{فذلك من نقصان دينها}**.

في سنن الترمذي(رقم2787):

عن جابر بن عبد الله الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال :"خرج علينا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يوما فقال :**{إني رأيت في المنام كأنَّ جبريل عند رأسي و ميكائيل عند رجلي ،يقول أحدهما لصاحبه:أضرب له مثلا،فقال :اسمع سَمِعَتْ أذنك و أعقل عقَلَ قلبك،إنما مثلك ومثل أمَّتك كمَثَلِ ملِكٍ اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه،فمنهم من أجاب الرسول ومنهم تركه،فالله هو الملك والدار الإسلام ،والبيت الجنة ، وأنت يا محمد رسولٌ ،فمن أجابك دخل الإسلام /ومن دخل الإسلام دخل الجنة ،ومن دخل الجنة أكل ما فيها}**.

وفي سنن ابن ماجه (4208):

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم":**{لا عقل كالتدبير ،ولا ورع كالكف ،ولا حسب كحسن الخلق}**.[1].

1 د.فهمي قطب الدين النجار،**العقل في السنة**، موقع الألوكة ،بتاريخ2014/01/22.

وفي مسند أحمد أيضا (رقم 23283):

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم":**{الدنيا دار من لا دار له،ومال من لا مال له،ولها يجمع من لا عقل له}**.

وما نخلص له هنا أن العقل والتعقل قد ورد كذلك بلفظ البصر والقلب والفقه والفكر في عدة أحاديث،وهذا ما يؤكد أن العقل هو قوة الإدراك والفهم والفقه والتفكير السليم ،وهذا مذكره ابن تيمية ـ رحمه الله ـ خلال دراسته للعقل الإنساني ودراسته في العقيدة والفقه والسلوك والأخلاق والشريعة الإسلامية.

فالعقل هو قوة في الإنسان الناطق وهو أساس الفهم و الإدراك ،و هو ليس جوهرا قائما كما يقول أرسطو ـ ومن نحى نحوه من الفلاسفة المسلمين ـ في تعدد العقول هو أوهام لا حقيقة لها ،ويذهب الكثير من العلماء المسلمين الذين سبقوا ابن تيمية مثل الحارث المحاسبي والغزالي و الجويني ويأتي ابن تيمية ليبينوا أن العقل له صلة كبيرة بالنقل .

والعقل عند أهل السنة والجماعة هو الغريزة المدركة في الإنسان بها يعقل ويعلم ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: **(العقل: مصدر من عقل يعقل عقلا ،وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ،ولا العمل بلا علم ،بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم)** .[1]

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: **(العقل عقلان :عقل غريزة:وهو أبو العلم ومربيه ومثمره ،وعقل مكتسب مستفاد:وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته،فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ،واستقام له أمره ،وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب)**[2].

إلى هذا فإن العقلانية قد بدأت تتجلى في مفهوم ترشيد العقل وتهذيب أفعال المسلمين من منطلق النص القرآني و الحديث النبوي الشارح له فكان التوافق بين النقل و العقل في أتم الانسجام في عهد النبوة ،أما ما جاء بعد ذلك فإن القياس هو استدلال بالعقل في مسائل جديدة عن الشرع من قبل الفقهاء ورجال الدين مكن من توسع عمل العقل في النصوص لكي تتسع دائرة الفكر الإسلامي وتوافق ما دخل عليها من قضايا العصر .

[1] ابن تيمية ،**مجموع الفتاوي**،(9/286-287)
[2] مفتاح دار السعادة ،ص117

فكان الإجماع والقياس مصدر التشريع الإسلامي الجديد مع ما يوافق النص ويعالج المشكل فكان للعقل الدور الحاسم في إيجاد ما يوافق ذلك، فأصبح هناك مصادر أربعة للتشريع الإسلامي (القرآن والسنة والقياس والإجماع) [1].

فتطور مجال التشريع مع القياس بالابتعاد عن الآراء الفردية الشخصية واكتشاف أوجه التشابه مع ما جاء في القرآن والسنة فلاقى ذلك استحسانا كبيرا عند أهل الحل و العقد ،خاصة مع تبلور علم أصول الفقه على الإمام الشافعي ،الذي أعاد تعريف الأنماط المقبولة للمحاجة في الفكر الإسلامي الشرعي وحصر باب الاجتهاد بالقياس أي الحجة المماثلة،ومع هذا الاتجاه تم سد باب الإفتاء لغير الفقهاء وأهل العلم ومنع المؤمنين من أن يحيدوا عن الصراط المستقيم ما فرض على العقل حصارا دينيا في باب الاجتهاد الشخصي ،فلم يعد بالإمكان إضافة مبادئ شرعية جديدة على الأحكام الشرعية المعتمدة .

المدلول الفلسفي و العلمي:

لقد رأينا كيف نظر الشرع من مختلف أركانه للعقلانية والعقل ودوره في عملية التشريع ، لكن حلقة العقلانية لم تقف على هذه النقطة فقد شملت المجال الثقافي والفكري خاصة مع توسع دائرة المعرفة الإسلامية باحتكاكها بالحضارات الأخرى كالفارسية والهندية واليونانية ،فشكل لها ذلك بيئة مناسبة للعمل العقلي من خلال تهذيب الأفكار الدخيلة وتكييفها على ضوء الشريعة، لأنها تحمل ما ينافي المعتقد الديني و الإرث الثقافي ،فأصبح العمل على التوفيق و التقريب بين المفاهيم و مختلف الأفكار، خاصة ما تعلق بالفكر اليوناني الذي كان له تأثير بالغ الأهمية على تراثنا الفكري الإسلامي آنذاك ،مع ما وجد من تقارب للأفكار وتقارب للأقاليم الجغرافية التي ساعدت على انتشاره وتغلغله إلى مصادر الفكر الإسلامي المتمثل في مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الذين وُجِدُوا في ذلك الزّمن، والذين كان لهم دور هام في نقل وشرح الفلسفة اليونانية ،نقول الفلسفة لأن هذا المجال هو الذي أحدث ضجَّة فكرية في ذلك الوقت بأفكارها الغريبة عن الثقافة الإسلامية والتي كانت مستهجنة إلى حد كبير.

1 **العقل والعقلانية في الإسلام والغرب**،موقع الحكمة،أوت 2017 ،ص112،hekmah.org

أمّا ما نقل من علوم كالرياضيات و الطب والفلك فلم تلق نفورا بل بالعكس فقد احتضنت بشكل كبير وتم تخصيص معاهد ومؤسسات لها لكي تُطَوَّر وتتفاعل مع المجتمع الإسلامي.

لقد برزت بعض الاتجاهات الفكرية التي تميزت بالمنهج العقلي في تلك الفترة الحديثة مع الحضارة الإسلامية ، وكـ **"المعتزلة"** وكان هؤلاء الفلاسفة الدينيون على استعداد لِأن يعزوا للإنسان قوى عقلية كاملة ،وحتى للقول "بتعادل العقل والنقل "،إذ العقل في منظورهم هو الملكة التي جعلت الإنسان "خالق أفعاله" والحَكَم الفصل بين الخير والشر ،فنسب هذا الموقف للإنسان القدرة الذاتية على الفعل والقدرة الداخلية على فهم المعايير الأساسية للخير والشر،وقادهم هذا التفكير في الوقت ذاته إلى الاعتقاد بأن الله لا يمكنه أن يفعل ما يجافي العقل والعدل.

لكن هذا الاتجاه العقلي وجد من يقف في وجه أفكاره وهم الأشاعرة في القرن العاشر الذين أعطوا للشريعة السلطة الكاملة ،بحيث غدت كل المسائل العملية بما فيها الشرع والأخلاق التي لها مساس بالحياة الفعلية بين اللاهوت من جانب الشرع والأخلاق من الجانب الآخر ،فتم بذلك تعطيل الفكر الفلسفي في المجال الأخلاقي.

ومنه فإن الأشاعرة قد وضعوا بين النقل والعقل بحيث أن النقل (الشريعة) يجب ألا يختلط بالعقل أو يخضع له ،هذا لأن العقل في نظرهم هو مجمل الأفكار التي يؤمن بها عامة الناس وليس هو العقل الفاعل الذي يتحدث عنه الفلاسفة ولا هو يشبه فكرة النور الداخلي في المنظور الغربي ،لذا فإن الأشعري في تطويره لموقفه صاغ مذهب الاكتساب الحتمي الذي يمسك الله فيه العالم من لحظة لأخرى بإرادته وقدرة الإنسان على الفعل محكومة باكتسابه لهذه القدرة من الله على إتمامها ،ويرى أصحاب هذا الاتجاه **" أن الله هو فاعل أفعال البشر في الواقع ،وأن ....البشر هم وسائل فعلها في الواقع"**[1]

[1] ينظر في: **العقل والعقلانية في الإسلام والغرب** ،مرجع سابق ،ص 128،128

ولقد شغلت مسالة العقلانية العديد من المفكرين خارج المسائل العقائدية وعلم الكلام ، ولعلنا هنا نقصد ما جاء به كل من ابن سينا و الفارابي و الكندي في معالجة قضايا الوجود و ما بعد الطبيعة متأثرين في ذلك بالفكر اليوناني الأرسطي و الأفلاطوني فرسموا بذلك حدود العقلانية الإسلامية.

والكندي* يرى أن العقل هو جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها ،و جوهر نظرية المعرفة هو أن لكل جنس من أجناس الموجودات يدرك بخاصية من خواصه ،ونظرية المعرفة عنده تقوم على ازدواجية المحسوس والمعقول فمعارفنا إما أن تكون حسية أو عقلية ، والإدراك الحسي أو الحس غير ثابت ،بينما الإدراك العقلي والمعرفة العقلية فموضوعها الأجناس والأنواع وما ليس ماديا وهي بالتالي ثابتة يقينية،ويقسم العقل إلى أربعة أقسام:

01 ـ العقل الذي هو بالفعل دائما مفارق للنفس وهو العقل الأول.

02 ـ العقل الذي في نفس الإنسان بالقوة فهو النفس العاقلة بالقوة.

03 ـ العقل الذي خرج في النفس من القوة إلى الفعل.

04 ـ العقل المستفاد من النفس وهو يمثل العقل بالحس .

والعقل عند الكندي هو مصدر السعادة،وأن العالم العقلي مصدر كل خير للإنسان فيقول:(**فإن أحببنا أن لا نفقد محبوباتنا و قنباتنا وإرادتنا منه**)[2]، فالعقل هو الضامن للحقيقة .

*هو:أبويوسف يعقوب بن إسحاق الكندي(185-256هـ)(805-873م) حافظ للقرآن الكريم والكثير من الأحاديث النبوية درس علم الكلام في البصرة مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية كما يعده الكثيرون كان موسوعيا فهو رياضي وفيزيائي وفلكي وفيلسوف ، ويعتبر أول من وضع سلما للموسيقى العربية من جملة مؤلفاته:(الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات و التوحيد،كتاب الحث على تعلم الفلسفة ،رسالة في المدخل المنطقي باستيفاء القول فيه،رسالة في الطب البقراطي،رسالة في اختلاف مناظرة المرآة)،موقع المعرفةhttps//m.marefa.org

1 الكندي ،**الحيلة في دفع الأحزان ضمن رسائل فلسفية**،تحقيق د.عبد الرحمن بدوي،دار الأندلس،1983،ص7

أما **الفارابي*** وهو فيلسوف المسلمين بالحقيقة ومؤسس الفلسفة العربية الذي أنتج بالعقل الفلسفي الإسلامي خطوات كبيرة ،إذ يركز في فلسفته على المنطق و ما بعد الطبيعة وفي أصول علم الطبيعة والعقل يحتل عنده مكانة بارزة في كل دراساته الفلسفية ،من خلال وضعه نظرية خاصة بالعقل والتي أجازها في كتابه "مقالة في العقل" فوضع تصورا مشابها للتصور الأرسطي للعقل (عقل بالقوة،عقل بالفعل،عقل مستفاد ،وعقل فعال)،وعنده:

- **العقل بالقوة :**هو العقل الهيولاني أو المنفعل(نفس ما أو جزء من شيء،أو قوة من قوى النفس).
- **العقل بالفعل:**هو عقل فوق العقل الهيولاني أي تكون المعقولات لها وجودا بالقوة وذلك قبل أن تعقل.
- **العقل المستفاد:**هو الذي يدرك المعقولات المجردة والصور المفارقة،إذ العقل مادة للمعقولات وصورة للعقل الأدنى منه مرتبة.
- **العقل الفعال:** هو آخر العقول السماوية المفارقة،وهو دائما بالفعل ،وهو الذي يمنح النفس الإنسانية معقوليتها ويصيرها عقلا بالفعل[1] .

إن تصور الفارابي يضعنا في رحلة ارتقاء بين مستويات في العقل ومراتب يسمو بها إلى أعلى مرتبة للعقل وهي المنفعل ويكون فيها حكيما فيلسوفا ومتعقلا ،وهذا التدرج يظهر مدى تأثر الفارابي بأرسطو وأفلاطون من خلال مزج بين الاتجاه الأرسطي و الاتجاه الأفلاطوني و ما نسميه عنده بنظرية الفيض الإلهي أو الإيصال[2].

*هو أبو نصر محمد بن ترهان بن أوزلاغ الفارابي التركي ،ولد في عام 870 ميلادي في مدينة فاراب ،ويعد واحدا من أبرز الفلاسفة المسلمين عاش متنقلا من بغداد إلى مصر وسوريا ودمشق وتوفي فيها عام950 ميلادي،أطلق عليه لقب المعلم الثاني بعد أرسطو لأنه يعد أحد مؤسسي الفلسفة المشائية في الشرق لما له من اطلاع بأرسطو وأفلاطون ،وكان اهتمامه كبير بالمنطق والفلسفة اليونانية،من أهم مؤلفاته (لآلئ الحكمة،وأفكار مواطني المدينة الفاضلة ،الرسائل الفلسفية،الكتاب الكبير في الموسيقى). محمد قطب ،تدقيق ريمان مصطفى،**الفارابي** ،موقع موضوع،آخر تحديث 13:49 تاريخ 2021/09/19

[1] د.سعيد مراد ،**العقل الفلسفي في الإسلام**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية ،مصر ط1،2000، ص127،128.

[2] المرجع نفسه ،ص129.

أما **ابن سينا** *فقد كان يعطي النفس مكانة فائقة ما انعكس على آرائه حول العقل ،لما نجده من تأثر بالفلسفة الأرسطية والأفلاطونية من جهة وتأثره بالفارابي من جهة أخرى ،وقد كان ينظر له من خلال تعريف الفارابي ولكن ربطه بالنفس ويرى أنه: (**وحّد النفس ـ بين الإنسان والملائكة ـ جوهر غير جسم هو كمال محرك له بالاختيار عن مبدأ نطقي ،أي عقل بالفعل أو بالقوة ،والذي بالقوة هو فصل النفس الإنسانية والذي بالفعل هو فصل أو خاصة للنفس الملائكية ،ويقال العقل الكلي وعقل الكل والنفس الكلية ونفس الكل**) [1].

لذا نجده يدرج العقل ضمن قوى النفس عندما يضع للنفس الإنسانية قوتان :عاملة تدبر البدن ،والأخرى عاقلة ولها مراتب:(فأولها كونها مستعدة لقبول الصور العقلية وهذه المرتبة مسماة بالعقل الهيولاني ،وثانيها أن تحصل فيها التصورات والتصديقات البديهية وهي العقل بالملكة ،وثالثها أن يحصل الانتقال من تلك المبادئ إلى المطالب الفكرية البرهانية،و رابعها أن تكون تلك الصورة العقلية حاضر ة بالفعل ينظر إليها صاحبها وهي المسماة بالعقل) [2].

وعليه يمكن تفسير المعرفة الإنسانية عند ابن سينا على أساس القول بنظرية الاتصال بين النفس والعقل الفعال ،إذ العقل بالفعل يتجه إلى العقل الفعال متى شاء ،**أمّا** الاتصال التام بالعقل الفعال فهو العقل المستفاد ،وهو عقل النفس القديسة التي ترتقي إلى منزلة العارفين والصديقين،والنفس الإنسانية مصدرها عن العقل الفعال وارتقاؤها إلى مرتبة النفس القدسية يكون عن طريق الدراسة[3].

*هو أبو علي الحسين ابن سينا ،فيلسوف وطبيب وعالم في مجالات العلوم الطبيعة ،ولد عام980 ميلادي في أفشانا القريبة من بخارى،و يعد ابن سينا من أكثر الشخصيات الفلسفية والأطباء تأثيرا في العالم الإسلامي وأوربا في العصور الوسطي بكتاباته وخاصة اكتشافاته الطبية من خلال كتابه "القانون في الطب"الذي يعد موسوعة شاملة للمعلومات الطبية،وله أكثر من 400 عمل الذي بقي منها 240عملا وأبرزها(القانون في الطب،كتاب الشفاء،كتاب الخلاص،ورقة عن التشريح،ملخص إقليدس..)توفي عن عمر 58 عاما في 1037في إيران،"إحسان العقلة،**بحث عن ابن سينا**،موقع موضوع ،آخر تحديث 16:27 بتاريخ 2021/11/22.

1 ينظر في: د.سعيد مراد ،**العقل الفلسفي في الإسلام**،مرجع سابق ،ص 132

2 ينظر في:عباس محمود العقاد،**ابن سينا**،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،جمهورية مصر العربية،ب ط،ب ت، ص50

3 عباس محمود العقاد،**ابن سينا**،المرجع نفسه السابق ،الصفحة نفسها.

لقد عرف العالم الإسلامي في مرحل متقدمة من تاريخه قفزة نوعية في مجال المعرفة العلمية التي تمثلت في العلوم الطبيعية التجريبية بما فيها من طب وكيمياء والعلوم الرياضية الحسابية منها والهندسية ،ويعزى هذا الفضل لمجموعة من العلماء المسلمين ،خاصة بعدما بدأت حركة الترجمة في منتصف القرن الثامن ميلادي .

لذا فإن المنظور العلمي للعقل لم يكن ليشكل محل جدل بل بالعكس فقد فتحت له الأبواب لأن العقلانية العلمية لا تختلف والشريعة في المبادئ لأن لكل منها مجاله الخاص ، وهذا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم :**{أنتم أعلم بأمور دنياكم}**،فصار الانتهال من العلوم الدخيلة مجال خاض فيه الكثير من العلماء مع ما لقوه من تشجيع ودعم معنوي ومادي من الحكام ، فارتبطت الحضارة الإسلامية بهذا المد الفكري العلمي على مدى قرون ،وكان لإسهامات علمائها فضل كبير حتى على النهضة الأوربية فيما بعد.[1]

وهذا **جابر بن حيان** نموذج من نماذج العلماء المسلمين المهتمين بالبحث والتدقيق في إطار منهجي سليم يضع العقل موضعه الصحيح في كل خطوة من خطوات البحث وفي كل مرحلة من مراحله دون تسرع للوصول إلى نتائج عن طريق العلم بالأوائل العقلية واستنباط النتائج بعد المشاهدة والتجريب والتحقق[2].

وأما **أبوبكر محمد بن زكرياء الرازي** فقد كان من أعظم من اشتغلوا بعلوم الطب والكيمياء في العصور الوسطى،ولقد مجد الرازي كذلك العقل ومدحه وأعطى له مكانته وأفرد له فصلا خاصا في كتابه "الطب الروحاني"فيقول: **(إن الباري عز اسمه إنما أعطانا العقل و حبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه ، وإنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء)**[3].

[1] توفيق الطويل،**العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي**،دار النهضة العربية ،1968م،ص19
[2] زكي نجيب محمد ،**جابر بن حيان،الأعلام3**،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1975م،ص65
[3] ينظر في : د.سعيد مراد ،**العقل الفلسفي في الإسلام**،مرجع سابق ،ص 168

لذا فالعقل أشرف ما وهبنا الله لنا وأعز ما يطلب فهو الحاكم والمتبوع،ولذلك يجب أن:

-ننزله منزلته ولا نحط من قيمته.

-نجعله الحاكم والقائد الذي يقود حياتنا.

-نحميه من الهوى الذي هو آفته والحائد به عن طريقه.

-نروضه ونذلله ونحمله ولا نجبره على الوقوف عند أمره ونهيه وهذا يتم بالعلم والمعرفة والتدريب و التحصيل.

-نوقن بأننا بالعقل نسعد وبالعقل نهتدي إلى الخير والصواب[1].

[1]د.سعيد مراد ،**العقل الفلسفي في الإسلام**،مرجع سابق ،ص 169

المبحث الثالث:بين المعقول واللامعقول

تمهيد:

لقد مرَّ بنا في المباحث الماضية آراء مفكري الأمة الإسلامية في قضية العقلانية وما تبعها من تأثيرات وصفت بالإيجابية في ميدان العلوم الطبيعية و التجريبية والرياضيات ،كما كان مكان في ميدان البحث النظري و الفلسفي ما أسهم في بناء فلسفة إسلامية بمعايير خاصة أعطت لها مكانة في تاريخ المعرفة البشرية،و هذا ما يجعلنا نوجه فكرنا إلى مجال آخر كان له مكان في التراث الفكري الإسلامي من حيث أنه مجال بحث ونظر حتى وأنه وصف باللاعقلاني إلا أن له تاريخ ومحطات عرفت بأفكارها وآرائها اتجاه عدة قضايا .

مفهوم اللامعقول:

من الكلمة نفسها نلمح أنه مركب من مقطعين "لا" و"معقول" أي هناك قضية وبإضافة "لا" يكون نقيضها ،ومن هنا فننا نضع تعريفا للامعقول بنفي كل ما نسب للمعقول:

ـ فإذا كان المعقول هو الذي يعطي العقل أحقية المعرفة والفكر ،فإن اللامعقول هو ما لا يمكن للعقل تصوره ،أي خارج النشاط العقلي.

ـ إذا كان المعقول يطلق على القضية التي تم التوصل إلى صحتها عن طريق البرهان المنطقي الذي ينطلق من مقدمات صحيحة وصادقة إلى نتائج تتصف بهاتين الصفتين ،فإن اللامعقول يطلق على القضية التي لم يتوصل إليها بالبرهان الصحيح على أنها صحيحة.

ـ المعقول هو الذي يفسر الظواهر تفسيرا عقليا ،انطلاقا من مبدأ العلية والاطراد في وقوع الأحداث، واللامعقول لا يتعمد على هذه العلل [1] .

[1] أ،د.إبراهيم محمد تركي،**الأبعاد اللامعقولة في الفلسفة الإسلامية**،أستاذ الفلسفة الإسلامية ورئيس قسم الفلسفة ،كلية الآداب ، جامعة كفر الشيخ،ص328

وإذا كانت الأفكار أو الآراء اللامعقولة على هذا النحو من عدم إمكانية جعلها موضوعا للتفكير العقلي ،أو عدم البرهنة عليها أو اعتبارها معلولات لعلل غير معلومة ،أو مجرد تخمينات فقط ، فبإمكاننا أن نلاحظ بأن هناك تيارات فكرية لا عقلانية داخل الفلسفة الإسلامية قد بصمت على مكانها ،وتركت نوعا من الاستهجان والغموض وسوء الظن لما جاءت به ، بالرغم من هالة العقلانية المكتسحة للمجال الفكري داخل الحضارة الإسلامية والتي كانت تخضع لقواعد المنطق ومعطيات التجربة .

01- مظاهر الفكر اللامعقول في الفلسفة الإسلامية:

من المعلوم أن التراث الفكري زاخر بما جادت به أقلام المفكرين و الفلاسفة من معارف ونظريات وأفكار مكنت البشرية من التطور و التوسع المعرفي ،وهذا كان حال التراث الفكري الإسلامي مع تشبعه بالثقافة الدينية التي سمحت للفكر بالاندماج والانصهار داخل هذا الدين فكان للعلوم مكانها بأن أخذت نصيبها من التطور والاكتشافات العلمية كالطب والفيزياء والكيمياء وعلم التشريح وغيرها من المعارف التي وسمت بأنها معرفة إسلامية المنشأ،لكن كان هناك في نفس الوقت علوم قد ظهرت خارج نطاق العقل مثل التصوف الذي كان له مكانة محضية عند بعض الشرائح الفكرية علوم التنجيم ، والسحر و الطلاسم ،وما إلى ذلك من العلوم التي لا يمكن أن توصف إلا بأنها من مظاهر التفكير الخرافي الذي يبتعد عن العلم والعقل بمعناهما المحدد ،إلا أنه وجدت قابلية لدى بعض العوام واستعداد للاقتناع بها ، خاصة في بعض المظاهر التي عزف عنها العلوم والمعارف العقلية .

ويبدو الكلام عن الاتجاهات الفكر ية اللامعقولة لم تؤخذ بعين الاعتبار عند كبار المفكرين العقلانيين كالفارابي في كتابه "إحصاء العلوم" تحدث عن العلوم المعقولة فقط ولم يشر إلى المعارف اللامعقولة ،في المقابل فإننا نجد "إخوان الصفا" في موسوعتهم الفلسفية الضخمة المعروفة باسم "رسائل إخوان الصفا"قد تحدثوا عن عدد من العلوم اللاعقلية مثل السحر و التنجيم إلى جانب حديثهم عن العلوم العقلية التي عرفت في عصرهم،ومن هنا فتح الباب لإقحام العلوم والآراء اللاعقلية في مجال الفلسفة الإسلامية ،بعد أن كانت الإشارة إليها قبل هذا على استحياء شديد.[1]

[1] أ،د.إبراهيم محمد تركي،**الأبعاد اللامعقولة في الفلسفة الإسلامية**،مرجع سابق ،ص328

وهذا الذي يؤكده موقف **"أبو سليمان السجستاني"*** ، الذي كان يشغل رئاسة المناطقة في بغداد من خلال درايته ووعيه بأن الفلسفة الإسلامية في زمانه كانت تشتمل جانبا من العلوم والآراء التي تبتعد بشكل كبير عن العقل ،وهذا ما يتجلى في تعليقه عل رسائل إخوان الصفا التي تحاول التوفيق بين الدين والفلسفة مؤكدا فيه على ضرورة الفصل بينهما ،لأن الشريعة الإسلامية ترفض التنجيم والحديث عنه والإيمان به خاصة وأنه يتكلم عن الطالع وحركة النجوم وتموضعها في أيام الشهر ،ونحسها وتشاؤمها وغير ذلك من التكهنات التي رفضها الدين جملة وتفصيلا،والتي كذلك غيبت العلم والعقل والتجربة العلمية،ذلك أن أصحاب هاه الأفكار أغراضهم لم تكن تخدم المعرفة والعلم بل كصاحب العزيمة وعابر الرؤيا ومدعي السحر ،وصاحب الكيمياء ،ومستعمل الوهم[1] .

أ- الأبعاد اللاعقلية في تصور نشأة الكون:

لقد شغلت مسألة خلق الوجود أو الكون تفكير الفلاسفة والعلماء منذ القدم وفي مختلف الحضارات و الأديان من الجانب العقلي أو الديني وحتى الخرافي الأسطوري،هذا كان حال الواقع الفكري ،ونسلط الضوء على نظرية القدماء الخمسة لدى **أبو بكر الرازي** باعتبارها إحدى النظريات المهمة في نشأة الكون وكذلك في أنها تعد أحد النماذج التي تعبر عن الجانب اللاعقلاني في الفلسفة الإسلامية،وهذا في قوله الذي اشتهر به عن **"القدماء الخمسة"**،من حيث هو تلميحات توافق الجانب الحسي.

فقد أشار الرازي أن ثمة قدماء خمسة هم أصل هذا العالم المشاهد وهم:الباري سبحانه وتعالى ،والنفس الكلية،و الهيولى الأولى،والمكان المطلق ،والزمان المطلق ،هذه القدماء الخمسة حاول الرازي إثباتها إلى قياس الغائب على الشاهد[3] .

ويعتبر هذا مسالة بحث مهمة في نشأة الكون ،إذ تعد المدخل الرئيسي في البحث ، ويقول: (**إن الجواهر الخمسة قديمة وإن العالم محدث،والعلة في إحداث العالم أن النفس**

*هو أبو سليمان محمد السجستاني المعروف عنه بالمنطقي،هو فيلسوف عربي، توفي نحو371هـ/981م ،أخذ عن يحيى بن عدي ومتى بن يونس،وجمع حوله في بغداد حلقة من المتأدبين والمتفلسفين ،ومنهم أبو حيان التوحيدي الذي نقل كثيرا من أقواله في "المقابسات"و"الإمتاع و المؤانسة"، له مؤلف **"صوان الحكمة"** وهو في تاريخ الفلسفة اليونانية والإسلامية وأخذ عنه الشهرستاني في "الملل و النحل"،وذكر له تلميذه أبن النديم رسائل مختلفة في الحكمة.**المعجم الفلسفي** جميل صليبا ، ص37

1 أبو حيان التوحيدي،**الإمتاع و المؤانسة**،تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل والدكتور أحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتاب العلمية ،بيروت ،2003،ص204

2 بول كراوس،**رسائل الرازي الفلسفية**،دار الآفاق الجديدة،بيروت ،1993،ص195.

اشتهت أن تتجبل" تتشخص عن طريق اتحادها بالهيولى" في هذا العالم ،وحركتها الشهوة في ذلك ،ولم تعلم ما يلحقها من الوبال إذا تجبلت فيه ،واضطربت في إحداث العالم ....ورحمها الباري جل وتعالى وأعانها على إحداث العالم)[1].

وتشير هذه النقطة إلى رغبة النفس في اتحادها مع الهيولى ،لكنها اضطربت عندما حركتها الشهوة فلم تستطع إلا برحمة من الله تعالى الذي أعانها على إحداث هذا الكون بقدرة منه ،وكان سبحانه وتعالى على علم بما سيلحقها من وبال ،ورغم هذا فقد أعانها في الوقت الذي كان ليتركها في وبالها ولكنه لم يقدر على منعها من ذلك وهذا ليس عجزا وإنما تأديبا وتدريبا لها.

وهنا حاول الرازي أن يعبر عن رأيه في نشأة الكون بأسلوب طابعه أسطوري واضح يتلاءم مع هاته الفكرة ،حتى وإن كان هناك نوع من الغضاضة في استخدام الأساطير في تقريب المفاهيم الفلسفية.

وإذا أردنا تسليط الضوء على نظرية الفيض عند الفارابي وابن سينا باعتبارها تعبيرا عن الجانب اللاعقلاني في الفكر الفلسفي الإسلامي ،رغم ما نسب لهما من الاتجاه العقلي والمنطقي في فلسفتهما ،إلا أن هذا لا ينفي عن هاته النظرية مع ما تحمله من أفكار قد عالجها القدماء والتي تتكلم عن كيفية صدور الموجودات عن الله أو كيفية صدور الكثرة عن الواحد أو صدور المادة عن اللامادي وتأثره كان باديا بالفلسفة السكندرية كما شغلت الفلاسفة اليونانيين والمسلمين على حد سواء،فجاء الفارابي بنظرية الفيض كإحدى الحلول المقدمة لهذه المشكلة، والذي ظنه الفارابي بأنها وسط بين القول بالخلق من العدم والقول بعدم فاعلية الله في إيجاد العالم،رغم أنه يقر بوحدانية الله المطلقة وتنزهه التام عن مشابهته ما سواه وعلوه المطلق ،فإنّ الكون عنده وُجِدَ عن الله عن طريق الفيض.[2]

ويوضح هذا في عدة قضايا:

01- الواحد لا يصدر عنه إلا واحد :أي الذي صدر عن الله هو العقل الأول.

02-الفيض حدث نتيجة للتعقل:أي تعقل الله لذاته صدر عنها هذا الموجود.

1 رسائل الرازي الفلسفية، مرجع نفسه السابق ،ص308

2 أ،د.إبراهيم محمد تركي،**الأبعاد اللامعقولة في الفلسفة الإسلامية**،مرجع سابق ،ص333

03-الفيض أزلي:هذه العملية تمت منذ الأزل.

04-الفيض ضروري وتلقائي:لأن ذات الله تستلزم وجود الموجودات .

05-الفيض دائم:دائم أزلي لا ينقطع.

06-الفيض يتم في تدرج هرمي تنازلي.

ومن خلال هذه الملاحظات التي قدمها الفارابي فقد فتح له أبواب نقد واسعة خاصة من علماء الكلام ،وكما تجلى ذلك في انتقادات **الغزالي** لنظرية الفيض في بيان "تهافت الفلاسفة"، وما رآه **ابن رشد** في أن هذه النظرية قد أضاعت هيبة الفلاسفة، كما انتقدها **أبو البركات البغدادي** لأنها من النظريات التي لم يقم عليها الدليل الصحيح.

وأيا ما كان الأمر فإنه يمكن القول بأن آراء بعض أعلام الفلسفة الإسلامية فيما يتعلق ببناء الكون وحيويته إنما هي تعبير واضح عن الجانب اللامعقول في الفلسفة الإسلامية الخالصة[1].

ب ـ الأبعاد اللامعقولة في التنجيم عند بعض المفكرين :

الجدير بالذكر أن الاعتقاد بتأثير حركة الأجرام السماوية على الكائنات الحية كان شائعا في الفلسفة الإسلامية ،وكان لهذا الرأي معتنقين والمقرين بتأثير هذه الأجرام في عالم الكون والفساد ،وهو العالم الأرضي أو عالم ما تحت فلك القمر،واتخذ لهذا الرأي مظهران ،أحدهما هو القول بحيوية الأجرام السماوية(نظرية الفيض)،والثاني القول بالتنجيم في محاولة للتنبؤ بالغيب.

وإذا كان من المعلوم أن علم أحكام النجوم أو علم التنجيم يتداخل مع علم الفلك في العصرين القديم والوسيط،وهذا ما اشتغل به الكندي في علم أحكام النجوم وماهية تأثير الأجرام السماوية في العالم الأرضي وتعليل الحوادث الكونية ،وهذا ما يشير إلى تحول الكندي من نزعته العقلانية المنطقية التي اعتمد عليها فيما سبق،وعلى النزعة العلمية من جهة إلى النزعة اللاعقلانية التي لا تعبأ بحقائق الشرع ومعطيات الدين [2].

فالتنجيم عند بعض المفكرين ممن يحسبون على الفلسفة الإسلامية إن هذا العلم حق ولكن الإصابة فيه بعيدة ،وليس كل بعيد محالا ،ولا كل قريب صوابا ،وإنما كان هذا العلم حقا

1 المرجع نفسه السابق ،ص334.

2 أ،د.إبراهيم محمد تركي،**الأبعاد اللامعقولة في الفلسفة الإسلامية**،المرجع نفسه السابق ،ص344

يطلب فيه الاجتهاد والقياس وبذل السعي وهذا لما للعالم السفلي ارتباط بالعالم العلوي ،واتصال هذه الأجسام بتلك الأجرام الفاعلة ،وإذا صح هذا الاتصال والتشابك ،صح التأثير من العلوي وقبوله من السفلي.

وطبقا لهذا فإن علم أحكام النجوم يختلف باختلاف الناظر إليه ،إذ هناك من يقر به صحته وهناك من لا يقر ،وكما أن هناك من المنجمين من يصدق في أحكامه وهناك من لا يصدق ،وعدم صدقه يرجع لقلة دراية المنهج بحركة الأجرام الكثيرة وتفصيل أحوالها ،مع بعد حركة بعضها وقرب بعضها الآخر ،وسرعتها وبطئها وتداخل أشكالها.

وقد أشار إلى ذالك **أبو الفتح النوشجاني** ،وهو أحد متفلسفة بغداد في القرن الرابع هجري والذي كان يحضر مجلس **السجستاني** ،في قوله: (إنما يؤتى أحد الحاكمين لأحد الملكين لا من جهة غلط في الحساب ،ولا قلة مهارة في العلم ،ولكن يكون في طالعه أن يصيب الحكم، ويكون طالع ذلك الملك أن لا يصيب منجمه في ذلك الحكم)[1]

وهكذا فإننا نلاحظ أن الأمر فيما يتعلق بتقييم هذا العلم قد انتهى لدى **"أبي الحسن العامري"*** إلى الربط بين الطب و التنجيم من جهة والعناية الإلهية والمعونة الربانية من جهة أخرى،وتبدو هذه محاولة منه للخروج من المأزق الذي أقر بعض أعلام الفلسفة الإسلامية بصحة علم التنجيم ما أدى بهم الوقوع في الجانب اللاعقلاني في الفلسفة الإسلامية[1] .

[1] ينظر في :أبو حيان التوحيدي ،**المقابسات** ، المقابسة الثانية،محقق ومشروح بقلم حسن السندوسي دار سعاد الصباح ،دمشق ص66.

*هوأبو الحسن محمد بن يوسف العامري النيسابوري ولد عام 912م في نيسابور وتعلم فيها العلوم الدينية والفلسفة وعلم الفقه وأصول الدين والمنطق ،كان فيلسوفا معاصرا لابن سينا ويقول عنه أبو حيان التوحيد: (كان العامري من أعلام عصره ، وكان متبحرا في الفلسفة اليونانية منكبا على كتب أرسطو وله على ب عضها شروح)،له مجموعة من المؤلفات منها (شروح على كتب أرسطو،النسك العقلي ،الإبصار و المبصر ،الإعلام بمناقب الإسلام.توفي عام992م.

[1] أ،د.إبراهيم محمد تركي،**الأبعاد اللامعقولة في الفلسفة الإسلامية**،المرجع نفسه السابق ،ص347

الفصل الثالث :

مراحـــل العقلانيـــة
مــن خــلال كتــاب المعقــول واللامعقــول
للدكتور زكي نجيب محمود

01/ مسار العقل

02/ مسار اللاعقل

بطاقة فنية عن "زكي نجيب محمود"

حياته:

ولد زكي نجيب محمود في قرية ميت الخولي التابعة لمركز الزرقا بمحافظة دمياط المصرية في (26 من ذي القعدة1322هـ المرافق لـ01 فبراير 1905م)، ح فظ شيئا من القرآن في الكتّاب ثم التحق بمدرسة السلطان مصطفى الأولية في سن الخامسة عشر، وبعد أربع سنوات انتقلت أسرته إلى السودان أين أكما تعليمه بجامعة "غوردون"بالخرطوم ،ثم عاد إلى مصر ليكمل تعليمه ويلتحق بعدها بمدرسة المعلمين التي أنجبت العديد من ألأدباء الكبار.

تخرج وعمل بالتدريس حتى (1943م) ،سافر بعد ذلك إلى إنجلترا في بعثة دراسية وتمكن من الحصول على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن سنة(1947م) وكانت أطروحته بعنوان"الجبر الذاتي"باللغة الإنجليزية وترجمها فيما بعد تلميذه الدكتور"إمام عبد الفتاح" إلى العربية.

بعد عودته درس بجامعة القاهرة في ق سم الفلسفة حتى تقاعده سنة(1965م)،سافر إلى الكويت وعمل أستاذا بجامعة الكويت لخمس سنوات متصلة.

إلى جانب عمله الأكاديمي انتدب سنة (1953)للعمل في وزارة الإرشاد القومي"الثقافة"،وسافر بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،وعمل أستاذا زائرا في جامعة كولومبيا بولاية كارولاينا الجنوبية ثم جامعة "بولمان" بواشنطن ،ثم ملحقا بالسفارة المصرية بواشنطن بين عامي(1954-1955).

وفي خضم عمله هذا كان له اتصال بالصحافة في فترة مبكرة من حياته مع مجلة "الرسالة"التي نشر فيها العديد من المقالات ،حيث تعرف هناك الأستاذ أحمد أمين الذي ضمه إلى لجنة التأليف و الترجمة وأثمر ذلك في اشتراكهما في تأليف ثلاث كتب :قصة الفلسفة اليونانية،وقصة الفلسفة الحديثة ،وقصة الأدب في العالم ،أنشأ مجلة فكرية تعنى بالفلسفة والتيارات الفكرية "الفكر المعاصر"(1965م)

فكره:

مرت حياة زكي نجيب محمود الفكرية ثلاث أطوار:

الأولى: انشغل فيها بنقد الحياة الاجتماعية في مصر وتقديم نماذج من الفلسفة القديمة والحديثة و الآداب التي تعبر عن الجانب التنويري وعبر عن هذه المرحلة في كتبه الثلاث مع الدكتور أحمد أمين.

الثانية: بدأت بعد رجوعه من أوربا وامتدت حتى الستينات وفيها دعا إلى تغيير سلم القيم إلى النمط الأوربي،لما يحمله ذلك الفكر من مظاهر التحضر و العصرنة واشتمالها على جوانب إيجابية من علوم ورياضيات وفي الجدية في العمل واحترام الإنسانية،فدعا في هاته الفترة إلى الفلسفة الوضعية المنطقية التي نذر نفسه لشرحها وتبسيطها.

الثالثة: شهدت عودته إلى التراث العربي قارئا ومنقبا عن الأفكار الجديدة فيه وباحثا عن سمات الهوية العربية التي تجمع بين الشرق و الغرب.

وفي هذه المرحلة دعا إلى فلسفة جديدة برؤية عربية تبدأ من الجذور ولا تكتفي بها ،بل تسعى تجديد الفكر العربي والاستفادة من تراثه،وقال : إنّ ترك التراث كله هو انتحار حضاري،وكان يتمنى ألا تعيش الأمة الإسلامية والعربية عالة على غيرها ،وإنما تكون مشاركة في بناء وتطور هذا العالم.من خلال البحث العلمي وتجديد الرؤية الدينية وتعزيزها بالمنهج العلمي لكي تواكب التطور.

حصد العديد من الأوسمة والجوائز على أعماله منها:-جائزة التفوق الأدبي (1939) عن كتابه الأحلام ،-جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة(1960) عن كتابه نحو فلسفة علمية،-وسام الجمهورية من الطبقة الأولى(1975)،-وجائزة الثقافة العربية من جامعة الدول العربية (1984)،-جائزة سلطان بن علي العويس (1991)،كما منحته الجامعة الأمريكية بالقاهرة دكتوراه فخرية (1985م).

توفي بالقاهرة في08سبتمبر1993عن عمر ثمان وثمانين سنة،بعد أن ترك بصماته البارزة في حياتنا الفكرية ورؤيتنا الفلسفية.

مؤلفاته:

- كتاب نظرية المعرفة
- كتاب المنطق الوضعي.
- كتاب خرافة الميتافيزيقا (الطبعة الأولى)ثم أعيد تسميته موقف من الميتافيزيقا.
- كتاب نحو فلسفة علمية.
- كتاب حياة الفكر في العالم الجديد
- كتاب برتراند راسل.
- كتاب ديفيد هيوم
- كتاب الرشق الفنان
- كتاب جابر بن حيان
- كتاب الجبر الذاتي
- كتاب قصة عقل .
- كتاب قصة نفس.
- كتاب عن الحرية أتحدث
- كتاب أسس التفكير العلمي
- كتاب قشور ولباب .
- كتاب ثقافتنا في مواجهة العصر
- كتاب مجتمع جديد أو الكارثة.
- كتاب رؤية إسلامية.
- كتاب في تحديث الثقافة العربية
- كتاب قيم من التراث
- كتاب جنة العبيط
- كتاب شروق من الغرب
- كتاب الكوميديا الأرضية.
- كتاب حصاد سنين .
- كتاب قصة الحضارة(ترجمة د.زكي نجيب محمود وآخرون).
- كتاب محاورات أفلاطون ،أربع محاورات
- كتاب المنطق نظرية البحث لجون ديوي،ترجمة
- كتاب المعقول واللامعقول في تراثنا العربي ،والذي هو بصدد عرض محتواه في هذا الفصل الثالث كدراسة تحليلية نقدية .[1]

---

[1]كتّاب ومؤلفون ،زكي نجيب محمود،موسوعة أخضر للكتب

تقدمة للكتاب :

الكتاب الذي بين أيدينا هو **"المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"** لصاحبه الدكتور زكي نجيب محمود

- الصادر عن: مطابع الشروق ،بيروت ،ص ب :8064- ت 315859،الطبعة الثانية،1398هـ -1978م.
- الكتاب من النسخ القديمة ،واجِهَتُه خضراء مع قليل من الأسود في الواجهة ،من الحجم المتوسط ،والورق الذي طُبع عليه من الورق الأصفر الفاتح .
- يشتمل على 495 صفحة.
- يحتوي على عشرة فصول مقسمة إلى قسمين واللذان سيكونان مبحثا هذا الفصل :

أ- القسم الأول:مسار العقل في التراث العربي،من الفصل الأول إلى الفصل السابع

ب - القسم الثاني:مسار اللاعقل في التراث العربي ،من الفصل الثامن إلى الفصل العاشر.

الفصل الثالث:مراحل العقلانية من خلال كتاب المعقول واللامعقول

{إننا نكتب هذه الصفحات من هذا الكتاب لنبين أنّ في الثقافة العربية القديمة التي
"هي تراثنا " حالات من اللامعقول ولا ينبغي أن نغمض عنها أبصارنا }

تمهيد:

لقد شكل موقف الباحثين من مسألة التراث العربي الإسلامي معضلة فكرية ليس فقط للدكتور **"زكي نجيب"** وحده ،بل هناك الكثير الذين استوقفتهم محطات وصعوبات من التحليل والتدقيق و النقد ،فمنهم من يدعو لهدم التراث وتجديد الخطاب الفلسفي ،ومنهم بقي محافظا على قدسية التراث من باب الأصالة والدين ،ونجد مفكرنا قد وقف وقفة المتفحص المحايد ، حتى يستطيع أن يأخذ صورة شاملة ونقدية ،إذ يمثل كتاب **"المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"** تغيرا جذريا في موقفه من التراث بعدما كان رافضا له في بداية حياته من خلال كتباته السابقة مثل"خرافة الميتافيزقا" و" نحو فلسفة علمية" وذلك من أجل استبعاد التراث العربي من النهضة ،هاهو يعيد نظرته من خلال إعادة القوام للتراث وتمحيصه مما لحقه من أفكار هدمت صورته الفلسفية اللامعة،والاستفادة مما وجد فيه من معارف نافعة ،دون أن يلزم القارئ لهذا الكتاب أن يسلم بآرائه فله حرية الاقتناع بها،لأنه يرى بأنه قد وصل إلى مسعاه من تحديد ما هو معقول و ما هو لامعقول في كتابه من وجهة نظره.

الإطار العام للنص:

لقد كانت انطلاقة زكي نجيب محمود في كتابة هذا الكتاب تحديدا من دراسة معروفة للفيلسوف **"برتراند راسل"**والذي وضع له كتاب خاص به وهو أحد أهم من ترجم لكتاباته إلى العربية ، فاتخذ من هذه الدراسة والتي هي بعنوان "التصوف والمنطق" (1914)خطة منهجية في تحليل وكتابة مضامين هذا الكتاب،وهي كما يقول زكي نجيب محمود أن هذا العمل من أجود ما كتب برتراند رسل في حياته الفلسفية.

فعرض د.**زكي نجيب** محمود أن دراسة راسل هي التفرقة بين المنطق و التصوف وهي نفسها في ما سيحدده في كتابه بين المعقول واللامعقول ،إذ نجد أن رسل يميز بين التصوف و المنطق بدور الإدراك فيهما ،ففي المنطق يكون الإدراك على مراحل وخطوات إي الانطلاق من مقدمات إلى نتائج باستخدام "التحليل العقلاني"وهذا هو طريق العلم نفسه،أما في التصوف فالإدراك بمثابة "لمعة بارقة"دون مقدمات أو شواهد بغير خطوات أو تحليل ، فالمتصوفة يرفضون كل ضروب التحليل،لأنه يمزق كيان الحقيقة ويفسدها.

إنّ هذا التعريف لبرتراند راسل سيكون الإطار الشامل الذي سيرسم خطة العمل ويحدد انطلاقته لهذا الكتاب ،والتي فتحت له أفقا لرؤية تراثنا الفكري،وأنه مزيج من المعقول واللامعقول فحدد هدفه من خلال مسؤولية هذا الجيل لدمج معالم التراث في حياتنا المعاصرة بما يمكن أن يسايره،وان هذه المراجعة يجب توكل إلى العقل الذي به نميز بين المعقول واللامعقول في هذا التراث لنكون على بينة بحدود كل منهما ،فما ساير العقل من الموروث أخذناه ،و ما لم يسايره جعلناه موضوعا للتذوق والبحث والنقد.

وفي هذا ارتحل بنا زكي نجيب محمود بين جنبات هذا التراث وعصوره ليرى ويسمع ويتعقل ثم يعود لنا بما يرى أنه يناسبنا [1].

1 د.عبد السلام حيدر،**نظرة نقدية في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،موقع عربي بوست،2022/02/10 على الساعة12:31بتوقيت غرينتش arabic ost.net

المبحث الأول:مسار العقل في التراث العربي الإسلامي

أ ـ مسار العقل:

خصص الدكتور زكي نجيب محمود هذا القسم لدراسة المسار العقلاني في تراثنا الفكري لما له من أهمية ودور في وصل الحاضر بالماضي ،ولأنه طريق تمت معالجته من سلفنا بمنهج العقل لا باندفاع العاطفة و بالإدراك السليم الذي يلتمس فيه الحلول استنادا إلى العقل،و دون اللجوء الى الخرافة .

فاهتدى في رحلته على طريق العقل بدرجات الإدراك في صعودها من البسيط إلى المركب ،وهي نفسها المراحل التي أشار إليها "الإمام الغزالي" عند تأويله لآيات سورة النور والتي يقول فيها سبحانه وتعالى"{**اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَ الَارْضِ**صلي **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ** صلي**الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَةٍ وَلَا غَرْبِيَةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِي~ءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**صلي **نُورٌ عَلَى نُورٍ**صلي **يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَّشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الَامْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ**صلي **}**[1] ،من هذه الآية الكريم استنبط الغزالي مراتب الأنوار،:المشكاة ،المصباح ،الزجاجة،الزيتونة،وهي درجات من الوعي تتصاعد وتزداد كشفا ونفادا في مراحل الإدراك السليم ،فأسقطها الدكتور زكي نجيب محمود على مدة زمنية في تاريخ الحضارة الإسلامية من القرن السابع ميلادي إلى بداية القرن الثاني عشر ،إذ رأى أنها تصلح لرسم خطوات السير في تاريخ التراث الإسلامي،ومنها يتم النمو العقلي في الفرد والجماعة،إذ لكل كلمة درجة ومكان في التاريخ.

فحسب تفسير الغزالي فإنّ: النور هو قوة الإدراك،المصباح هو العقل الذي يدرك المعاني،الزجاجة هي قوة الخيال،شجرة مباركة هي الروح الفكري الذي يؤلف بين العلوم العقلية،الزيت هي الإدراك بالبصيرة النافذة وهي وحي من الله[2].

---

1 سورة النور،الآية 35

2 د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**، مطبعة الشروق ،بيروت ،الطبعة الثانية،1978م،ص24

وهذه المراحل أشبه ما يكون بالمراحل الثلاثة عند **"ألفريد نورث وايتهد"Whitehead**)1861-1947(**North Alfred** في كتابه "أهداف التربية" ،والمراحل عنده ثلاثة:الأولى هي عفوية الطفل،الثانية القواعد المستمدة من الفترة الأولى،الثالثة يجمع أشتات تلك القواعد تحت مبادئ أكثر تجريدا وتعميما ،وهنا شبه واضح بين تقسيم "الغزالي" و تقسيم "وايتهد" في الحالتين يبدأ الإدراك بعفوية البديهة ثم يتدرج إلى مراتب منظمة ومجردة .

ب ـ المسار العقلي في التراث:

01/ مرحلة العفوية :

هي تبدأ من القرن الهجري الأول والتي اتسمت حسب رأي الدكتور زكي نجيب محمود بعفوية النظر ،إذ تمثل التفكير العقلي آنذاك أقرب إلى الإدراك بالبديهة والفطرة السليمة ، واقترنت بواقع كانت مشكلة الخلافة أو الإمامة حاضرة بشكل بارز فكان السؤال الذي يحيط بهذه الفترة من هو أحق بالحكم؟لما للأحداث التي تركت بصمة واضحة في تاريخ الأمة الإسلامية في معركتين كبيرتين :صفين"وموقعة "الجمل" ،وما أفرزته نتائجهما في مسألة أحقية الخلافة أعلي ؟ـ رضي الله عنه ـ أم معاوية بن أبي سفيان؟،فكان هذا يجسد لمرحلة من الفصاحة والبلاغة والدهاء السياسي،الذي نتج عنه فرق ومذاهب منها المؤيدة والأخرى الرافضة[1] .

وأن هذه القدرات العقلية في المجال الخطابي واللغوي التي اتسم بها شخصيات تلك الحقبة هي التي رسمت معالم النبوغ والتطور الحاصل في هذا المجال ،ويقول هنا: **(أما وجه الغرابة هو هذا الجمع العجيب والجميل في رجل واحد بين أن يكون هو الفارس الذي يجيد القتال بسيفه و جواده ،وهو السياسي الذي يجادل ويقاول ،وهو الأديب الذي يحسن صياغة اللفظ في أروع ما تكون الصياغة الأدبية،إن السياسي في يومنا هذا قد تكون له موهبة الكلام والخطابة ،لكنه لا يضيف إلى ذلك مهارة القتال و وشجاعة المحاربين)**[2].

[1] د.عبد السلام حيدر،**نظرة نقدية في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مرجع سابق

[2] د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق ،ص45.

02/ مرحلة التنظيم والتأصيل:

وهذه ترتبط بالقرن الثاني الذي بدأ يشهد عمليات التنظيم والتقسيم وتأصيل القواعد والاستدلال منها ،مبينا ذلك في مواقف الفرق الإسلامية التي تشكلت على إثر تلك الأحداث كالمعتزلة والخوارج والمرجئة ، والتي اتخذت موقفا من مرتكب الكبيرة في حروب القرن الأول ،هل يخلد في النار أم يدخل الجنة أم سيكون في منزلة بين المنزلتين ،و هاته المسائل هي التي سطرت لنشوء الفلسفة الإسلامية الأولى وعلم الكلام .

فيقف هنا مفكرنا عند الحياة الفكرية والعقلية في "البصرة"مهد العلوم والفلسفة آنذاك ويقول عنها: (**فلا عجب - إذن - أن نلتفت حولنا في أنحاء البصرة فنراها تعج بالمذاهب العقلية جميعا ففيها نشأ الاعتزال على يدي الحسن البصري،وفيها نشأت الدراسات العقلية الأولى للنحو واللغة**)[1]، ويقارن بينها وبين الكوفة التي كانت تعتمد على المنقول بلا تحليل ولا نقد ،إذ هم أقرب لأصحاب "العاطفة والخيال"وهم هنا يمثلون الخوارج وظلالهم وتناقضاتهم في أحكامهم ،أما مفكروا البصرة كعبد الله بن خباب وما جمعه معهم في حوار رسم فيما بعد خطوات المناظرة العقلية في أبهى صورها،وقصة علي مع أحد المنجمين ودلالتها على احتكام القوم إلى عقولهم وأهوائهم فلاهي باللاعقلانية وحدها التي سادت ولا العقلانية وحدها.،فانتهجوا طريق العقل الذي لا تثنيه عاطفة أو تزمت أو عصبية ،فينقد ما يصل إليه ويميز صحيحه من باطله ،فهي بتمسكها بالعقل لا تختلف كثيرا الفكر اليوناني القديم ولا عن المدرسة الفرنسية الحديثة "ديكارت" و"سبينوزا" وغيرهم[2] .

[1] د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق ، ص70

[2] د.عبد السلام حيدر،**نظرة نقدية في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مرجع سابق.

وفي القرن الثالث أصبح المصباح أشد توهجا ولمعانا ،وهنا أصبح الفكر منهجا لترسيم القواعد ورد للتجارب الجزئية والخبرات المفردة إلى أحكام عامة ،وهذا ما نطلق عليه المنهج العلمي ،إذ العلم بمنهجه لا بموضوعه ،فترسمت مرحلة الإدراك العلمي في أولى درجاته .[1]

وهنا يقف الدكتور زكي نجيب محمود طويلا أمام **"بيت الحكمة"*** ،ودور المترجمين بها خاصة **حنين بن إسحاق**** ،إذ يقول عنه زكي نجيب محمود إن رجلا واحدا يحمل قيم الإخلاص لعلمه وعمله ،ويملك من القدرة على تحصيله وترجمته من لغته الأم ،قد يشكل نقطة تحول ثقافي للأمة بأسرها ،وهذا ما تجلى في هذه المرحلة التي استمرت لقرنين وأصبح الفكر فيها أكثير منهجية ووضعا للأحكام العامة التي تبنى عليها القواعد الأساسية للمنهج العلمي[2] .

ولنسلط الضوء على الجانب الفلسفي في البصرة مع المعتزلة وأهم منظريها **"العلاف"**شيخ المعتزلة صاحب "الملل والنحل"وصاحب المقولات العشر في الذات الإلهية والإرادة الإلهية وأمر التكوين ،وحرية الاختيار وامتناع الحركة في الآخرة،والعلاقة بين القلب و الجوارح عند القيام بالأفعال،ووجوب معرفة العقل وأدلته،تحديد الآجال، و التاسعة عودة إلى الإرادة الإلهية،والعاشرة اشتراط قبول الحجج بالاستناد إلى الوحي و الشرع، و هاته هي التي أسقطت العلاف في تناقض في مسألة الحرية،و هناك الجاحظ الذي وَسَم لِفلسفة الأدب الساخر والذي حَوَّل مجال النظم الفكري الأدبي من الشعر إلى النثر وأعطى له قاعدة اتخذها من بعده طريقا في فن الكتابة والنثر[3] .

---

[1] د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق ،ص60.

*بيت الحكمة أو خزائن الحكمة :هي أول دار علمية أقيمت في الحضارة الإسلامية ،أسست في عهد الخليفة العباسي "هارون الرشيد"واتُّخذ من بغداد مقرا لها ،وبدأت الترجمة فيها للكتب الرياضية والطب والنجوم والهندسة والأدب ،فقام بتخصيص خزانات كبيرة (جعفر بن منصور) في قصره لحفظها حتى ضاق قصره بها ،فقم بعد ذلك هارون الرشيد بنقلها وتحويلها إلى مكتبة عامة مفتوحة أمام الدارسين والعلماء وطلاب العلم،فكانت في الأول مكتبة ثم مركزا للترجمة ثم مركزا للبحث العلمي،ثم أصبحت دارا للعلم،ثم ألحق بها مرصد فلكي وهو مرصد الشماسية

** هو أبوزيد حنين بن إسحاق العبادي(809-873)هو من الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية،حيث كان عالما باللغات (السريانية ،الفارسية ،اليونانية،العربية)وحتى أنه عرف بجودة ترجمته،وكان كذلك هو مؤرخ ومترجم ترجم لـ(أبو قراط و غالينوس،وأرسطو والعهد القديم)،عين الخليفة المأمون مسؤولا عن بيت الحكمة وديوان الترجمة،وكانت له مقالات عشر عرفت على أنها أقدم مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون.

[2] د.عبد السلام حيدر،**نظرة نقدية في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مرجع سابق.

[3] د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق ،ص172.

وهنا يستوقفنا البحث عند شخصية **"أحمد بن خليل الفراهيدي"** تركت بصمة واضحة في التراث الإسلامي ولما من نظر فاحص ونافذ وبصيرة مستوعبة وعميقة الفهم في اللغة العربية ونحوها وفي الشعر العربي وبحوره ،فهو من وضع بحورا للشعر وصنفها بمنهجية علمية وعقلية ورياضية جديدة على الفكر ،وهو من جمع شتات الألفاظ و المفردات في اللغة العربية في معجم واحد مرتب وهو الذي لم يضع أحد قبله مثل هذا العمل حتى يحتذي به ،فاعتمد نمطا جديدا في الترتيب مخالفا للأبجدية المعروفة بـ (أبجد هوز حطي كلمن ...) ،أو الطريقة الأخرى وهي ترتيب الحروف على هذا النحو(أ ب ت ث ج ح خ...)،وابتكر طريقة جديدة في ترتيب الحروف تعتمد على مخارج الأحرف عند النطق وهي طريقة تقام على أساس علمي بحت ،تبدأ من أعمقها مخرجا ثم الذي يليه فكانت (ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي)[1].

معلم آخر في الفكر العربي وهو **"سيبويه"**تلميذ الخليل بن أحمد ،وله كتاب بالغ الأهمية يسمى"الكتاب" الذي يعبر عن ما وصل إليه علم النحو من تقدم ،فهذا الكتاب هو وحدة بناء متسقة ،فاضت بالتعليلات العقلية والاستدلالات المنطقية ،ودقة الموازنة بين رأي و رأي ،ثم الترجيح لرأي دون آخر ترجيحا بصيرا ،وسيبويه رجل تجسدت فيه العبقرية من خلال دراسته للغة و النحو ليقوّم فهم الناس للقرآن على أساس متين ورغم هذا فهو لم يتعدى سن الثلاثين قبل أن يتوفاه الموت[2].

[1] د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق ،ص90.
[2] المصدر نفسه ،ص92،93

وهنا انتقل الفكر من المقدمات المباشرة إلى مقدمات أعم وأشمل ،ويفسر ذلك من خلال ما قدمه جملة من المفكرين والفلاسفة اللذين لبسوا ثوب التفلسف كـ :

***إخوان الصفا:** الذين توسلوا في عرضهم أسلوب الأدب التصويري فاستخدموا القصص وأجروا الأحاديث على ألسنة الحيوانات في خمسين رسالة وأطلق عليها "رسائل إخوان الصفا"التي تشمل كذلك العلوم الرياضية و العلوم الطبيعية والعقلية والنفسية ،والهدف من هذا التوفيق بين الشرع و الفلسفة رغم أنهم وضعوا الفلسفة أعلى منزلة من الشرع.

***أبو حيان التوحيدي**:مع كتابه"الإمتاع و المؤانسة"وهو صورة حية للثقافة العربية في القرن العاشر ميلادي يحمل في طياته أحاديث متقلبة بين حزن وفرح مقارنة بين العلوم الرياضية وعلوم البلاغة وموازنة بين المنطق اليوناني والنحو العربي ،وحديث عن الجبرية والقدر والحديث عن إخوان الصفا وغيرها من المواضيع التي طرحت ونوقشت في عصره.

* **عثمان ابن جني** هو فيلسوف اللغة واشتهر بكتابه **"الخصائص"** أي خصائص اللغة العربية وتميزه بدقة مصطلحاته وتفريقه بين الكلام والقول ،ويرى أن اللغة اصطلاحية وعللها عقلية ، ويرى أن كل مفكر إمام نفسه إذا أحسن النظر والاستدلال ،وأن اللغة نشأت بهيكلها كاملا دفعة واحدة .

***عبد القاهر الجرجاني** وكتابه "أسرار البلاغة"**و"إعجاز القرآن "** ويرى أن المعنى كائن في طريقة ترتيب المفردات لا في المفردات من حيث هي كذلك ،ويرى أن الجملة العلمية تصف الوقائع من حيث هي كذلك أما الجملة الأدبية تصفها بنوع من البيان أي بطريقة غير مباشرة والتعليل هو عملية عقلية ،إذ هنا يفرق بين المحسوس و المعقول .

وبعد هذا العرض المتميز للدكتور زكي نجيب محمود لنتائج هؤلاء المفكرين يرى أن هاته التجارب والأفكار تعد من أنفس ما يمكن أن ننقله إلى عصرنا ليكون جزءا حيا من حياتنا الفكرية المعاصرة[1].

[1] د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق ،ص267،265.

لا زلنا في فترة القرنين التاسع والعاشر ميلادي هما الدرة الساطعة على طريق تراثنا الفكري ،لذا فإن الدكتور زكي نجيب محمود سيعرض لنا ما فيها من حوار وتفاعل فكري جدلي احتدم بين فرقة المعتزلة التي وقفت أمام المشكلات الناشئة في ذلك الوقت ، وأهل السنة في مسألة "صفات الله" ويقول زكي نجيب محمود هنا : (**كان وراء ما اختلفت عليه المعتزلة مع أهل السنة ،فالمعتزلة يريدون أن يتصوروا الذات الإلهية واحدة وحدانية مطلقة ،وهذه الذات الواحدة غير المنقسمة ، تَعْلَم "كلها " وتَقْدِرُ "كلها"وهكذا**)[1]،ومن جهة أخرى وقفت أمام الرّوافض في "قبول التجسيم" ،ويوجه المعتزلة هنا رأيهم بخصوص "العدل " الإلهي ،والذي يرون أنه لا يفهم على الوجه الصحيح إلا إذا كان الإنسان قادرا على اختيار أفعاله ليكون مسؤولا عن اختياره ثم يأتي الحساب "العادل"فيثيب من أحسن ويعاقب من أساء[2].

ونجد أبو الحسن الأشعري يقف موقف الوسط بين هذين الموقفين ،فيرى أنه ليس العقل وحده هو المقياس ،لأن الغيب يستعصي على البراهين العقلية ،ويرفض فكرة خلق الله العالم عن طريق الفيض،وحتى مبدأ السببية غير مقبول في تفسير الخلق.

يعتبر القرن التاسع والقرن العاشر هما عصر الفلاسفة كالفارابي وابن سينا إلا أن هذا الكتاب لم يتعمق في هذه الموضوعات رغم تخصصها واستنادها للعقل[3] .

[1] المصدر نفسه السابق ،ص274

[2] د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق ،276

[3] المصدر نفسه السابق ،ص 291،280.

03/ مرحلة الحدس العقلي

وفي هاته المرحلة التي **" يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ "**يصبح الإدراك مصدره باطني ذاتي ،يكفي صاحبه أن يخلص النظر إلى قلبه حتى يهتدي إلى الحق وتلك نظرة المتصوفة والتي ارتبطت عند مفكرنا بالغزالي كونه يعتبر ممهد طريق التصوف الفلسفي في عصره ،لذا نجده قد خص هذه المرحلة كلها للأمام الغزالي ،فبرغم احترامه له وتقديره على ما بذله من مجهودات فكرية أثرت بشكل كبير على الواقع الفكري والفلسفي آنذاك ،إذ اعتبر الناقد الأول لفلاسفة عصره ومعطل حركة التفلسف لسنوات حتى عهد ابن رشد ،إلا أنه يتخذ منه موقفا سلبيا لن الغزالي قد خطط منهجا عقليا للبحث ،لكنه لم يلتزم هذا المنهج في أي من كتبه ،وسبب ذلك في رأي زكي نجيب محمود أن الإيمان كان يقف خلف عقل الغزالي ويوجهه ،من حيث القبول أو الاعتراض مع النص الشرعي ،فيأخذ به إن لم يصطدم بالإيمان ، وإلا فإنه يتنكر للعقل وما جاء به يبديه بالفعل وإن لم يذكره بالقول الصريح[1].

وهنا يخص كتاب "إحياء علوم الدين" ،فيرى أن الغزالي وبرغم عقلانيته فقد رسم للمسلمين طريقة في الحياة ،كأنه وضعهم في قوالب من جديد،فقد أغلق باب التفلسف أما العقل العربي ،ولم يفتح إلا بعد ثمان قرون ت كما أشرنا سابقا ـ ،لقد كفاهم عناء التفكير ،ولم يبق لهم إلا إتباع الأثر الذي وضعه ،ومن نماذج التحديد الذي به قيد الغزالي سلوك المسلم "آداب الأكل"كما ورد في كتابه المشار إليه سابقا "لإحياء علوم الدين"،وكانت النتيجة أن الغزالي أصبح بمثابة قوة رجعية ألقت بظلها على التاريخ الإسلامي في العصور التالية له [2].

1 د.عبد السلام حيدر،**نظرة نقدية في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مرجع سابق.

2 المرجع نفسه السابق.

المبحث الثاني: مسار اللاعقل

ما هو اللامعقول؟:

في تحديد مفهوم اللاعقل نستعين بمفهوم العقل حتى تكون صورة التضاد واضحة ،فالعقل عند المثاليين هو علاقة ضرورية بين فكرة وأخرى تلزم عنها (الرياضيات)والعقل هو الروابط المكتسبة عن طريق الخبرة التجريبية عند "هيوم" ، أما "الغزالي" فإنه أنكر وجود علاقة ضرورية بين السبب و المسبب،وبهذا لا يكون إدراك السببية عملية عقلية.

ويمكن توضيح ذلك من خلال أمثلة العقل ،فخصائص التفكير العلمي هي نفسها خصائص العقل :الانتقال من الجزئي إلى الكلي ومن المتعين إلى المجرد،أما من أمثلة اللاعقل الانفعالات والعواطف و الرغبات ـ وللمزيد فإننا قد تطرقنا لتعريف اللاعقل في الفصل الثاني المبحث الثاني ـ وعليه فإن الإدراكات الحظية الآنية المباشرة كلها من قبيل اللاعقل ،إذ قد تلتقي نظرة المنطقي ونظرة المتصوف في رجل واحد كما حدث لأفلاطون ،وهنا لخّص نظرة الصوفية في أربع نقاط:

-الأولى :أن يكون الحدس دون العقل المنطقي وسيلة إدراك.

-الثانية :أن يرى الكون وحدة واحدة لا تقبل التحليل.

-الثالثة: أن الصوفي ينكر انقسام الزمن إلى لحظات.

-الرابعة:عدم التفرقة بين ما يسميه الناس خيرا وشرا .

وعليه فبيان الفرق بين المعطى العقلي الحدسي والمعطى اللاعقلي يتمثل في أن المدرك العقلي له خطواته وأدواته التي توصله إلى اليقين ،بينما المتصوف فهو لا يحتاج تلك الخطوات إذ يستطيع القول أنه يرى كذا وكذا ،ولكن ليس من حقه أن يدعي رؤيته لليقين ،وعليه فإن ما نحمله على اللامعقول هو أن نقبل منه ما يستطيع العقل تقبّله[1] .

1 د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق، ص387.

01/ يقظة الحالمين:

رؤى المتصوفة تشبه رؤية الحالمين ،هي فكرة مأخوذة عن مجموعة من المتصوفة من أماثل **السهروردي ونجم الدين الكُبْرى** ،إذ يعتبرون المتصوف يشهد الغيب ويفعل المعجزات ،أو يقولون عنهم أن الأنبياء قد خاضوا بحر الإيمان والعلوم الربانية بينما المتصوفة قد غاصوا لإي أعماق تلك البحار بينما وقف العامة من الناس والعلماء عند شاطئه.

هذا وإن الكرامات لا تناقض العقل ،فهم (أصحاب اللامعقول أو المتصوفة عند زكي نجيب محمود)ينظرون إلى الظواهر الطبيعية نظرة الساحر لا نظرة العلم ويقول : **(...إنما ينظرون إلى الطبيعة و تصاريفها نظرة الساحر لا نظرة العالم،فما السحر؟هو محاولة استحداث النتائج عن غير أسبابها ،فإذا كان نزول المطر نتيجة لعوامل مناخية معينة ، يحاولون هم أن يستنزلوه بقراءة التعازيم من كلِمٍ يظنون به القدرة على فعل ما يريدون)**[1].

ومن أمثلة ذلك عند نجم الدين كبرى إذ يعتبر بعض الحروف رموزا لقوى خارقة فيشير للألف بالسماء ومن الياء رمزا إلى الأرض ،فالألف إذن تستدعي بقوتها قوى "الحق" العلوي،وأما الياء فنصيبها نحو ما هو كائن على وجه الأرض ،بما في ذلك قلب الإنسان،وأما الواو فشأنها آخر فهي تمثل الروح ،ولأنها وسط بين النصب والكسر ،فهي همزة وصل بين الحق سبحانه وتعالى وبين الخلق من كائنات الأرض[2].

ويرى أنهم أعطوا للأولياء صفات أخلاقية عليا ولم يؤت مثلها أحد من العامة ولو ربطنا مفهوما مع عصرنا لقلنا أن المقصود بهم هم علماء الرياضيات والفيزياء والدراسات الإنسانية ،والذي تصدى لهم آنذاك هو شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ، والأولياء يعطلون قوانين الطبيعة بكراماتهم وخوارقهم ،ويرفضون مبادئه إذ يريدونه عن طريق صنوف اللاوعي،وهذا ما لا يستقيم له الحال بحسب ما نرى من المناهج العلمية النظرية والتطبيقية [3].

---

1 المصدر السابق تفسه، ص 403

2 الشيخ نجم الدين كبرى،**فوائح الجمال وفواتح الجلال**،دراسة وتحقيق د.يوسف زيدان،دار سعاد الصباح ،الكويت،الطبعة الأولى ،1993،ص53

3 د.عبد السلام حيدر،**نظرة نقدية في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مرجع سابق.

02/ سحر وتنجيم:

السحر هو تعليل الأحداث بغير أسبابها الطبيعية وهو موجود في تراثنا القديم بشطر كبير ،ولعل من يتكلم عنه نجد إخوان الصفا رغم ما وصلوا إليه من الفكر العلمي والقلي ،فإنهم يوردون في ختام رسائلهم رسالة تتحدث عن ماهية السحر والعزائم والعين ،وهم لم يدرجوه من أجل النقد والدحض بل أوردوه كموضوع بحث وعلم يدرس ولكن لمن ارتقوا بعقولهم ونفوسهم درجات الصعود إلى الكمال درجة درجة ومرتبة مرتبة،ويقولون : (**نذكر فيها ماهية السحر وكيفية عمل الطِّلَّسمات ،وأنها كأحد العلوم والمعارف المتعارفة ،وكبعض الحكم المستعملة ،ونستشهد عليها بما سمعناه من العلماء وعرفناه من كتب القدماء**)[1].

وهم ينظرون إلى السحر و التنجيم بأن لهما القدرة على كشف الخبيء من الأشياء و الأسرار،وأن الإنسان عالم صغير يتأثر بالعالم الأكبر منه وهو لا يؤثر فيه ـ بحسب رأي إخوان الصفا ـ وعلم النجوم هو علم العلم السماوي العلوي ،الذي يتحكم في العالم الأرضي.

1 ينظر في: د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،مصدر سابق، ص440.

تعقيب:

أن كتاب "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري" لصاحبه الدكتور زكي نجيب محمود هو نظرة ابستيمولوجية لمراحل مرت على حضارتنا الإسلامية العربية بما فيها من محطات فكرية متغيرة تبعا لوقائع وأحداث أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر عليها ،واستطاع أن يقدم نماذج مختلفة للفكر الإسلامي بشقيه العقلي و اللاعقلي.

ولكن الملاحظ هنا أن مفكرنا وكأننا نجده متأثرا أو مطلعا فقط على التراث الفكري و الفلسفي في العراق وما جاورها وهذا لإسهابه في مختلف فصول كتابه من التطرق لعلماء البصرة والكوفة في كل مرة.

كذلك فكرة الاقتباس و التأثر بالغزالي في فكرته النور أو الأنوار قد أغلقت باب الموضوعية والحياد ،التي كان يتسم بها المفكر،لأن هذا المجال يحتاج نوعا من الانفتاح على جميع الأفكار والمناهج والآراء،لأن صفة المذهبية في التراث الإسلامي لم تكن بارزة والفكر الشخصي و الآراء الشخصية للمفكرين هي ما كانت تميزهم ولا تصنفهم.

ويرى زكي نجيب محمود بأن المراحل التي تناولها في الكتاب تمثل دورة حضارية قد تتكرر على هذا النحو مرة بعد مرة ،وأنه يتم ختم كل دورة حضارية بمرحلة التصوف ،وهنا هو يغلق الباب أمام النقلة العلمية والمنهج العقلي في بناء حضارة فكرية .

تأثر زكي نجيب محمود بالنهضة العلمية والمنهج الوضعي جعله يحكم مسبقا على التراث بأنه زاخر بالفكر اللاعقلي وأن الفكر العقلي به لا يفتأ من اصطدامه بمعوقات الفكر الخرافي والتصوفي فجعله لا يتطور أو يصل إلى ما وصلت إليه أوربا .

لقد خلى الكتاب من شواهد علمية تاريخية مؤرخ لها ،وكذلك إلى الاكتفاء بالسياق الفكري السياسي في فترة حروب الفتنة والذي لا يعكس الصورة الحقيقية للتراث من بابه الواسع ،كون المفكر يقر بعدم اطلاعه الكبير على التراث الفكري الإسلامي ،والذي نعرف أنه لا يمكن الإلمام بجنباته في طيات صفحات كتاب واحد بل يحتاج إلى سنين لكي نعيد قراءته وليس لكتاب فقط .

و نلمس من قراءة الكتاب توجيها للقارئ إلى مفاهيم معينة وتواريخ مقصودة ،وحتى العرض لفكر الغزالي كان فيه نوع من الذاتية في ما يخص عرض الجانب السلبي أكثر من التطرق للإسهام العلمي الذي جاء به الغزالي.

غير أننا نجد المفكر قد صاغ أفكار متنوعة بين الفلسفية والعلمية وحتى الصوفية في منظور اللاعقلية بأسلوب لم نألفه عند غيره ،كون فكرة اللامعقول لم تكن لتلقى صدى أو أهمية في البحث خاصة في عصرنا من قبل المفكرين الذين انصب جل اهتمامهم إلى كيفية قراءة النص القرآني بلغة العصر و التجديد والنهضة العلمية، ما جعل الخوص في هذا المجال لا تكون بالغة الأهمية،ولكن الدكتور زكي نجيب محمود لم يكن ليفوته هذا المجال ،وهذا يدل على بعد نظر و دقة ملاحظة وقدرة على تشخيص مكامن الداء في الفكر العربي .

وكانت جرأته الفكرية هي التي فتحت النقاش و دعوى البحث في هذا المجال لكي نستطيع أن نزيل عن الفكر العقلي الإسلامي شوائب الفكر اللاعقلي التي التصقت به منذ زمن ولكي نستطيع الاستفادة من ذلك الموروث الفكري الذي به يصلح حال الأمة إذا ما استطاعت إعادة قراءته من جديد والعمل به.

الخاتمـــــــة:

إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا يحمل تصورا فيه من الجرأة الفكرية لم يسبقه إليها مفكر،فقد وقف على أحد أهم أسباب معوقات الفكر في التراث الإسلامي ،باعتبار أن الإرث الحضاري الذي ظل صامدا لقرون ينتهل منه من في الداخل وينتهل منه حتى الذين هم في الخارج ،وذلك لما وصل إليه من قمة في التطور والتقدم العلمي الذي كتب عنه المستشرقين أكثر ممن هم ينتسبون إليه .

لقد وضع المفكر أمامنا صفحة جديدة من التاريخ الإسلامي بأسلوب فلسفي تحليلي لبعض أهم محطاته التاريخية و الفكرية التي كان تأثيرها باديا على مناهج الفكرية لما للسياسة و الدين من تأثير على النمط الفكري ،فارتسم المنهج العقلي بأبهى صور له في عدة جوانب الفكرية منها والفلسفية والسياسية والدينية وحتى العلمية مع ما زاده توهجا باحتكاكه بالحضارة اليونانية الذي أمدته بأدوات البحث والتمحيص وأسس المنهج العقلي الذي يساعد على توطئة للفلسفة العقلية.

إن المسار الذي رسمه المفكر زكي نجيب محمود للتراث الإسلامي كان عبارة عن محطات تاريخية متسلسلة شهدت على ظهور تيارات ومذاهب فكرية ،والتي نقلها بأسلوب فلسفي أدبي يحمل بداخله قضايا ومسائل امتزجت بين الدين والفلسفة من جهة وبين اللغة والأدب والفلسفة من جهة أخرى ،ثم انتقل إلى مسار آخر مغايرا للمسار العقلي وهو المسار اللاعقلي الذي التصق بالفكر العقلي الإسلامي ،والذي عبر عنه مفكرنا وربطه بالفكر التصوفي،الذي يرى أنه تجاوز حدود العقل وألغى طرقه ومناهجه للوصول إلى أعلى درجات العلم والمعرفة الربانية انطلاقا من رفض الطرق العلمية والاستعانة بالتصور الخالص والتسامي الفكري.

كذلك الحال في مجال آخر انعكس على الفكر العقلي و هو علم السحر و التنجيم وارتباطه بعلم النجوم والفلك، فكانت مجالاته توثق لنظريات غريبة ومستهجنة عندما بدأت تحاكي عالم الملكوت وتربط التأثير و الظواهر الإنسانية بأحداث وحركات للكواكب والنجوم.

إن هذه التوقفات الفكرية لمفكرنا عبر المسار التاريخي الذي رسمه مسبقا جعله يأخذ أحكاما مسبقة عن التراث الفكري ويوسمه باللاعقلانية في بعض المحطات التاريخية التي خصه بها وحده كالسحر و التنجيم والتصوف ،بعدما نفاه عن الحضارة الأوربية،ولكن لو رجعنا وبحثنا في تاريخ أوربا لوجدنا ان هذا الفكر اللاعقلي بكل أصنافه كان موجودا وبشكل بارز ومؤثر على المجتمعات الأوربية فالسحر الأسود و علم التنجيم لم يخلو من أي منطقة في أوربا ، وكان حضوره بارزا إلى غاية يومنا هذا، فكيف إذن نربطه بالفكر الإسلامي بالرغم من أن المجتمع الإسلامي يرفضه جملة وتفصيلا، من منطلق الدين الذي رفضه من البداية ومن يمارسونه فئة قليلة لا تعبر عن الفكر الإسلامي بصفة عامة.

نقطة أخرى إن محاولة زكي نجيب محمود من إسقاط مراحل الفكر في التراث الإسلامي على نظرية الغزالي لم يكن إسقاطا علميا بمعنى الكلمة من حيث أن الفكرة في أصلها لدى صاحبها هي تفسير لمراتب النور الرباني ودرجاته ،ولا يمكن بأي حال أن نربطها بواقع تاريخي إنساني ،كذلك اعتبار القرنين الأولين اللذين أشار لهما زكي نجيب محمود بأن الفكر فيها كان في فترة النمو والبداية وتتطور مع القرون الأخيرة التي ذكرها ،نجد فيه نوعا من الحكم القاصي على تلك القرون لأن الازدهار الفكري كان حتى قبل الإسلام وفي الفترة الأولى للعالم الإسلامي مع النبي كان الفكر في أوجه بدليل أن القرآن غير مسار أمة واستطاع الصحابة أن يفتحوا به دولا بعلومهم وأخلاقهم التي هذبها الإسلام وبسياستهم ،فلم يكن ذلك القرن بالفتي بل بالعكس كان في أوجه.

لكن يبقى أن نقول أن هذا الكتاب كان عرضا جديدا في عصره لقضية المعقول واللامعقول التي طرحها المفكر كمحاولة للوقوف على أسباب العجز الفكري الذي مس الأمة في وقته ،وهو يطلب من خلال كتابه محاولة فهم بعض الجوانب الفكرية التي تغلغلت داخل التراث والتي أثرت عليه بشكل سلبي فجعلته عقيما لا ينتج ،لذا أراد أن يؤصِّل لمنهج يمحص العلوم السالفة الذكر ويأخذ منها ما يصلح للعمل به والانتفاع منه.

وهذه دعوى لأي باحث واقتراح لأي طالب علم أن لا ينقص من شأن تراثه وأن يعيد الرجوع مرارا له و يغوص فيه ويبحث عن أي فكرة أو معرفة أو اجتهاد قد يساعد في حل أزمات وقضايا لا زلنا نعاني منها.

الملخص:

إن التراث العربي الإسلامي يعتبر الهوية التي يستند إليها حاضر هذه الأمة رغم كل ما اعتراه من تدهور و إهمال فكري ، جعله يتقوقع داخل طيات الكتب والزمان ، فكانت محاولات المفكرين المحدثين هي إعادة إحيائه سواء من منظور التجديد أو إعادة القراءة من جديد ، وهذا الكتاب" المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري" لزكي نجيب محمود هو عبارة عن فتح سجل التاريخ والتنقيب في العقلانية العربية وما لحقها من تداعيات اللاعقلانية التي انتشرت في عصور مضت، والتي جعلت منه محل نقد ،و هاته الإطلالة الفكرية هي دعوى لإعادة النظر والتمحيص وإزالة و ما التصق بالكفر العربي العقلي حتى نستطيع الانتفاع به.

Le résumé

L'héritage arabo-islamique considère l'identité sur laquelle repose le présent de cette nation, malgré toute la détérioration intellectuelle et l'abandon qui l'ont fait tomber dans les plis des livres et du temps." **Et le déraisonnable dans notre héritage intellectuel** ",de **Zaki Najib Mahmoud** est d'ouvrir l'histoire et de fouiller l'histoire de la rationalité arabe et des conséquences de l'irrationalité qui s'est propagée dans les époques passées, ce qui en a fait l'objet de critiques mentales afin que nous puissions en tirer profit.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم:

القرآن الكريم

الحديث النبوي الشريف

المصادر:

01/ د.زكي نجيب محمود،**المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**، مطبعة الشروق ،بيروت ،الطبعة الثانية،1978م.

المراجع:

01/ابن تيمية ،**مجموع الفتاوي**،(9/286-287)

02/أبو حيان التوحيدي،**الإمتاع و المؤانسة**،تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل والدكتور أحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتاب العلمية ،بيروت ،2003

03/ أبو حيان التوحيدي ،**المقابسات** ، المقابسة الثانية،محقق ومشروح بقلم حسن السندوسي دار سعاد الصباح ،دمشق .

04/ الشيخ نجم الدين كبرى،**فوائح الجمال وفواتح الجلال**،دراسة وتحقيق د.يوسف زيدان،دار سعاد الصباح الكويت،الطبعة الأولى ،1993.

05/ الكندي ،**الحيلة في دفع الأحزان ضمن رسائل فلسفية**،تحقيق د.عبد الرحمن بدوي،دار الأندلس،1983.

06/ برتراند راسل ، **تاريخ الفلسفة الغربية.الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة**، ترجمة د.محمد فتحي الشنيطي ،المكتبة المصرية العامة للكتاب،1977

07/ بول كراوس،**رسائل الرازي الفلسفية**،دار الآفاق الجديدة،بيروت ،1993.

08/ د.سعيد مراد ،**العقل الفلسفي في الإسلام**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية ،مصر ط1،2000.

09/ عباس محمود العقاد،**ابن سينا**،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،جمهورية مصر العربية،ب ط،ب ت.

10/ توفيق الطويل،**العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي**،دار النهضة العربية ،1968م،ص19.

11/ زكي نجيب محمد ،**جابر بن حيان،الأعلام3**،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1975م.

12/ د.محمود محمد علي محمد،**مفهوم العقلانية عند ستيفن تولمن** ،مطبعة محسن بصوهاج، مصر 2008.

13/ د.محمد مهران، **فلسفة برتراند رسل** ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دار المعارف مصر ، ب ط ، ب تاريخ.

14/ يوسف كرم ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،مصر،2012/08/26.

المراجع بالأجنبية:

.Monadologie.op.cit.p169 LEIBNIZ G.W.[1]

المجلات:

كتّاب ومؤلفون ،**زكي نجيب محمود**،موسوعة أخضر للكتب

الدوريات :

01/ أ،د.إبراهيم محمد تركي،**الأبعاد اللامعقولة في الفلسفة الإسلامية**،أستاذ الفلسفة الإسلامية ورئيس قسم الفلسفة ،كلية الآداب ، جامعة كفر الشيخ

02/ **العقل والعقلانية في الإسلام والغرب**،موقع الحكمة،أوت 2017 ،ص112 ،hekmah.org

03/أ.د بلبولة مصطفى،**ليبنتز ديكارتيا**،جامعة حسيبة بن بوعلي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،الشلف

04/ جون كوتنهام،ترجمة محمود منقذ الهاشمي،**العقلانية**، مركز لإنماء الحضاري ،حلب ،ط1997،1

مواقع إلكترونية :

01/ أمل العطوم،**تاريخ الفلسفة العقلانية الإغريقية**،موقع موسوعتك بالعربي ،28سبتمبر 2020
E 3arabi.com

02/د.عبد السلام حيدر،**نظرة نقدية في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**،موقع عربي

بوست،2022/02/10 ، على الساعة12:31بتوقيت غرينتش arabic ost.net

03/ عبد السميع البجيري.**كل ما تريد معرفته حول الفيلسوف باروخ سبينوزا وحياته ومؤلفاته**،موقع دخلك بتعرف ، 20مارس2017 على الساعة 13:28

dkhlak.com/philosopher-baruch-spinoza

04/ د.فهمي قطب الدين النجار،**العقل في السنة**، موقع الألوكة ،بتاريخ2014/01/22.

05/ محمد عثمان الخشت،**العقلانية،جدل الفلسفة والدين**،موقع إسلام أون لاين

06/نجلاء بنت محمد آل الشيخ،**العقل في القرآن الكريم**،شبكة الألوكة،بتاريخ 2019/04/28

المعاجم:

01/ ابن منظور،**لسان العرب** ،دار صادر ،بيروت ،ط2003،1،المجلد 10

02/ أندريه لالاند ،**العقل و المعايير**،ترجمة نظمي لوقا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،مصر

03/ الشريف الجرجاني،**معجم التعريفات** ،تحقيق محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة للنشر و التوزيع 04/ والتصدير ،القاهرة،ب ط،2004

04/ د.جميل صليبا،**المعجم الفلسفي** ، الجزء الثاني من (ط) إلى (ي) ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت لبنان 1982م

05/ جورج طرابيشي،**معجم الفلاسفة(الفلاسفة،المناطقة ،المتكلمون،اللاهوتيون ،المتصوفون)**،دار الطليعة بيروت ،ط3 ، 2006

الفهرس:

الإهداء		**ص**	**2**
كلمة شكر		**ص**	**3**
مقدمة		**ص**	**أ،ب ،ت،ث**
الفصل الأول	العقلانية الغربية	**ص**	**09**
المبحث الأول	مفهومها ونشأتها	**ص**	**10**
المبحث الثاني	أهم أعلامها	**ص**	**20**
الفصل الثاني	العقلانية في التراث الإسلامي	**ص**	**29**
المبحث الأول	مدلول العقلانية في التراث الإسلامي	**ص**	**30**
المبحث الثاني	بين المعقول واللامعقول	**ص**	**41**
الفصل الثالث	**مراحل العقلانية من خلال كتاب المعقول واللامعقول**	**ص**	**47**
بطاقة فنية	زكي نجيب محمد	**ص**	**48**
تقدمة للكتاب		**ص**	**51**
تمهيـــــد		**ص**	**52**
المبحث الأول	مسار العقل في التراث الإسلامي	**ص**	**54**
المبحث الثاني	مسار اللاعقل في التراث الإسلامي	**ص**	**62**
الخاتمة		**ص**	**67**
الملخص		**ص**	**70**
قائمة المصادر والمراجع		**ص**	**71**
الفهرس		**ص**	**73**